ديوان طرابلس

قصائد عربية قيلت في مدينة طرابلس

عاصمة الثقافة الإسلامية 2007

إعداد
عبد السلام محمد شلوف

تصدير
راشد الزبير السنوسي



بمناسبة اختيارها عاصمة للثقافة الإسلامية 2007
2008

ديــوان طرابلس

قصائد عربية قيلت في مدينة طرابلس

عاصمة الثقافة الإسلاميـة 2007

إعداد

عبدالسلام محمد شلوف

تصدير

راشد الزبير السنوسي

بمناسبة اختيارها عاصمة للثقافة الإسلامية 2007

2008

ديـوان طرابلس

إعداد : عبدالسلام محمد شلوف

سنة النشر 2008
الطبعة الأولى

الناشر دار الفضيل للنشر والتوزيع
بنغازي ـ ليبيا ـ هاتف 9092246

الوكالة الليبية للترقيم الدولي الموحد للكتاب

دار الكتب الوطنية

بنغـازي ـ ليبيا

هاتف : 9097074 ـ 9096379 ـ 9090509

بريد مصور : 9097073

البريد الإلكتروني : nat_lib_libya@hotmial.com

رقم الإيداع : 650 / 2008

ردمك ISBN 978 – 9959 – 852 – 69 – 4

ديوان طرابلس


بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

إهـــداء

إلى روح الرّجل الرّجل الذي ودعني فودعت فيـــه صـــديقاً صدوقاً ، وأخاً عطوفاً ، ورفيقاً خلوقاً ، وأســـتاذاً كبيـــراً ، وإنســـاناً فاضلاً . . .

إلى ورج الإنسان الإنسان الذي فارقني ، ففارقت فيه ناصحاً أميناً ، وقدوة حسنة ، وضرب للناس أمثالاً سامية علياً تحتـــذى فـــي كيف يعيش الشّاعر بشرف وكرامـــة واحتـــرام للـــنفس ، وللمبـــدأ ، وللآخرين ، فلا ينطق بغير الحق والصـــدق . . ولا يلـــوث بحـــوره وأوزانه بقاذورات النّفاق والتّدجيل ، ولا يـــدنس خطابـــه أو جوابـــه بسموم التّكسّب والمداهنة والرّياء . .

إلى روح الشّاعر الشّاعر الذي كرّس أشعاره ، وأوقف قلمه على شعبه وهواجسه وآلامه وأحلامه ، فقرظ الشعـــــر للرّجـــل . . للمرأة . . للطفـــل . . للأسرة . . للوطن . . للعقيـــدة . . وكانـــت قصائده طاقات من الحب والجمال والرّقّة والقيم والآمال . . زيّنـــت المنابر والمنصّات وموجات الأثير وصفحات الدواوين . . وشـــنفّت الآذان ، ودغدغت الأسماع . . وداوت الأوجاع .. وأثرت اليراع . .

إلى روح الأديب الذي قضى أيامه ولياليه يـزرع الخيـر ، ويغرس الفضيلة في كل شبر من أرض الوطن ، فتنقّل بـين مدنـه وقراه وواحاته ، وارتحل إلى أريافه وصحاريه ، معلما . . ومربيـاً وموجهاً وقدّم لنا دروساً مستفادة في الإخـلاص والعطـاء والإيثـار والولاء . . وأحبّ طرابلس كما أحببناها . . وكانت قصـيدته عـن طرابلس آخر ما قرظه من الشعر .

إلى روح نبيّ الكلمة الأنيقة الرّشـيقة . . وفنـان الصـورة الأخّاذة المتألقة.. ورسول التعابير الموحية الحية . . الذي كان يجلس معنا . . هامته أطول من ملك الملوك ، ومكانته أعلا من مكانة أثرى الأثرياء . . لا نسمع منه إلا طيّباً ، ولا نجد منه إلا نبيلاً أصيلاً . . فكأننا نجالس عطاراً ، إن لم يصبنا بخوره ونوره ، أصابنا عطـره وطيبه . . قولاً وسلوكاً . . فكراً وتطبيقاً . . عملاً واعتقاداً . . وقلبه كان أوسع من كل الكون . . وأنقى من الثلج . . واصفى من الندى ..

كان يجئ إلينا خفيفاً شفيفاً ظريفاً ، فكأنما جاءنا نسيم مساءات الصّيف، ويحل ويهل علينا ، فكانما فجر الربيع البشـوش الهشـوش أطل وهلّ.. سماحة وملاحة ، قاموسـه ولسـانه لا يعرفـان الحقـد والشنآن والأثرة والبغضاء والشحناء . .

كان . . وكان . . وكان . . فضائل وشمائـل لا يحيط بهـا حصر أو عد . . ومناقب ومآثر لا يبلغها تحديد أو وصف . .

إلى روح الصّديق الرّفيق الأخ الرّجل الإنسان شاعر الشّعب والحبّ حبيب الرّب : حسن أحمد السّوسي . . لمسات من القلب وهمسات من الروح وفاءً وذكرى ومحبة تظل ـ بإذن الله تعالى ـ ناقوساً يدق ـ باتصال وتواصل ـ على مدى الزمان والمكان . . في عالم النسيان . وعسى الله ـ عزّ وجلّ ـ أن يبعثه مع الأنبياء والصديقين والصالحين . . فقد تخلق بأخلاقهم ، ونهج نهجهم ، واقتفى أثرهم ، واقتدى بسيرهم ومسيراتهم ، وورث خصالهم ، وترسّم خطاهم .

اللهم آمين . . **اللهم آمين . .** **اللهم آمين . .**

تصدير

بقلم : راشد الزبير السنوسي

2007 / 6 / 6

الأستاذ الدكتور عبدالسّلام محمد شلّوف أحد علمائنا المعروفين في التاريخ القديم ، وأحد الأقلام التي قدّمت للمشهد الثقافي الليبي على مدى يقارب النصف قرن الكثير من الجهد المتمثّل في كتاباته الأدبية في الصحافة الليبية منذ بداية ستينيات القرن الماضي ، كما قدّم للإذاعتين المرئية والمسموعة عديد البرامج ، ومن أبرزها برنامج (رحلة عبر الجماهيرية) ، الذّي قام فيها بجولة شملت مناطق الوطن كافة ، وعرض الجوانب التاريخية للمكان ، ومُعرفاً بكل إنجاز مرَّ به ، ما أعطى للمشاهد الّذي لم تسعفه الفرصة بالتّجوال متعة لا تقدّر . وإلى جانب هذا العمل التوثيقي ، فقد أشرف على عدة برامج أدبية ، عرّف فيها بمبدعينا ، وعرض نماذج من إبداعهم ، مثل برنامج (خمائل وبلابل) الذي قدم فيه ما قيل من أشعار في مدننا .

ولم يكتف بذلك ، فقد عمل إلى جانب أبحاثه كأستاذ في الجامعة على الوجود في الملتقيات التي يدعى إليها ، مسهماً بهمّة ونشاط فيما يثار من موضوعات ، على الرغم من الحالة الصحية الحرجة التي مر بها في الفترة القريبة الماضية ، واجتازها بحمد الله

بأقل ضرر . ليس هذا فحسب ، بله وجّه قلمه لوجهة أخـــرى ، قـــدم فيها خدمة جليلة للمثقف الليبي ، وهي محاولة جمع القصـــائد التـــي نظمت عن مدن ليبية وتوثيقها في كتاب ، يسهّل على الدّارس الباحث والقارئ المستمتع مشقة عناء البحث داخل المصادر ، فبدأ قبل سنوات بما قيل في مدينة درنة ، ونشرها في كتاب أعـــد مقدمتـــه الأســـتاذ الشاعر رجب الماجري ، وتلا ذلك جَمعُه لقصائد عن مدينة بنغـــازي قدمها الأستاذ الشاعر حسن السوسي ، وبالنسبة لمدينة طرابلس ، فقد أعدّ الباحث مقدمة تاريخية ضافية عنها ، أورد فيه بعض مما وجـــد في كتب الرحالة الذين مروا بها ، واثبت حتـــى مـــن ذمهـــا مـــنهم كالعبدري زيادةً في الأمانة التاريخية ، وتفضّل مشكوراً بإبداء رغبته في أن أكتب تصديراً لهذا العمل .

وتعتبر المقدمة دراسة مختصرة ، ويقع هذا ضـــمن دائـــرة النقد، ولست من رجاله لأنني أؤمن بمبدأ الفصل بين الشاعر والناقـــد على اعتبار أن الأول تقوده في عمله عاطفة ، بينما يحكم الثاني علمٌ يحتّم عليه أن ينعزل عن الشّخصي ، وأن يوجّه نظره إلى الـــنّص ، دون إقحام لصاحبه ، ومن هذا المنطلق فأستعرض العمل دون تناول النصوص من داخلها أو وضعها على محك النقـــد ، وهـــو تعريـــف بالمحتوى أكثر منه دراسة للجوانب الفنيّة فيه .

بدأ الدكتور شلّوف تجميعه للقصائد عن طرابلس من الماضي البعيد ، فأورد أبياتاً للتيجاني تعود إلى مطلع القرن الثامن الهجري ،

وأعقب ذلك بأبيات لأبي العباس بن محمد البرسوني في مدح طرابلس ، فأبيات لأبي الحسن علي ابن موسى بن سعيد في بعض تفاسيره يتحدث عن مدرسة المنتصرية بطرابلس ، عندما دخلها ذات يوم ، فقصيدة أحمد عبدالدايم الأنصاري رداً على ذم العبدري لطرابلس ، فأبيات للحشائشي في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي ، فقصيدة للشيخ أحمد بن حسين البهلول قالها أيام هجرته بالأزهر ، كما أورد نصاً مع بداية القرن العشرين لشاعر العراق معروف الرصافي، ونصاً للشاعر محمد الأمين الحافي في افتتاح النادي الطرابلسي في القاهرة سنة 1944 ، كذلك أبياتاً للشاعر أحمد الفقيه حسن الحفيد ، وتوالت بعد ذلك نصوص للشعراء ، حسن أحمد السوسي ، وعبدربه الغناي ، وخالد زغبية ، إضافة لقصائدي التي قيلت في هذا الخصوص .

وبقدر ما أثمن هذا الجهد بالاعتزاز والتّقدير ، فإنني أرجو لمن سيكملون هذا المشوار مزيداً من البحث في كتب التراث ، لجمع كل ما كان حديثاً عن مدينة أو عن الوطن بكامله ، إشادةُ أو انتقاداً ، حتى نحفظ هذه الذخيرة للأجيال المقبلة ، تؤوب إليها وهي واثقة أن منطلقها ليس من فراغ ، وإنما هي عراقة عبر التاريخ ، تبقى موضع إعزاز وتقدير منا جميعاً .

وتحية للأستاذ الدكتور عبدالسلام محمد شلوف بهذا المولـــود الجديد ، ودعاء إلى الله جلت قدرتـــه أن يمنحـــه الصّـــحة والعافيـــة لمواصلة هذا الجهد المكلّف وقتاً وجهداً .

والله من وراء القصد . . إنه نعم المولى ونعم النصير .

راشد الزبير أحمد السنوسي

بنغازي في 6 / 6 / 2007

نبذة تاريخية عن طرابلس

بقلم / عبدالسلام محمد شلوف

تقع مدينة طرابلس على ساحل البحر المتوسط إلى الغـرب من مدينة بنغازي بمسافة 1050 كيلومتراً ، وإلى الشرق من مدينـة الزاوية بمسافة 40 كيلومتراً تقريباً ، وقد أسسها ــ فيمـا يـرجح ــ الفينيقيون في تاريخ لم يحدد بدقة بعد ، لكنه لاحق لعام 1000 ق.م ، وقد نشأت أول ما نشأت بوصفها محطة تجارية Emporia ، تحولت إلى مستوطنة Colonia تطورت إلى مدينة تحمـل اسـم (ماكـار أويات) . وكونت مع جارتيها لبدة الكبرى وصبراتة منطقة جغرافيـة واحدة أطلق عليها اسم (إقليم المدن الثلاث : تريبوليتانيا) ، نسـبة إلى هذه المدن الثلاث : تريبوليس ، وهي كلمة إغريقية مكونة مـن مقطعين هما : تري TRI بمعنى ثلاث ، وبوليس POLIS بمعنـى مدن . . . ولكن الاسم اقتصر فيما بعد على مدينـة أويـات ، التـي حملت اسم تريبوليس ، الذي حرف وخفف في الأعجمية إلى تريبولي TRIPOLI وفي العربية إلى طرابلس . . بينما احتفظت لبدة الكبرى وصبراتة باسميهما ، ويذكر لها أبوعبيد البكري اسمين غريبين همـا طربليطة وأناس ، وأعتقد أنهما تريبوليس وأويات ، ولكن أصـابهما تحريف وغلط .

وهناك في الشام مدينة تحمل الاسم ذاته ، و من أجل التمييز بينهما وعدم الالتباس أو الخلط سميت في العصر التركي : طـرابلس الغرب ، والأخرى طرابلس الشرق ، أو طرابلس أفريقيا وطـرابلس الشام ، ويرد اسم طرابلس في نشيد البحرية الأميريكية بعد أن كانت تتصدى لهم ولا يدخلون البحر المتوسط إلا بإذن من حكامها ، وبعـد أن يدفعوا المكوس اللازمة ، وعلى شواطئها أسرت سفينة فيلاديلفيـا أهم سفن الأسطول الأميريكي آنذاك .

احتل القرطاجيون طرابلس حـوالي عـام 795 ق.م ، ثـم سقطت في يد الرومان بعد هزيمة قرطاجة في الحـرب القرطاجيـة الرومانية الثالثة عام 146ق.م ، وتم تدميرها على يد الرومان تدميراً كاملاً مع أيلولة ممتلكاتها إليهم ،وحرف اسمها الفينيقي أويات في هذا العصر الروماني إلى أويا OEA، ووجه إليها الإمبراطور الروماني أغسطس اهتماماً خاصاً تفوقت بـه علـى شـقيقتيها لبـدة الكبـرى وصبراتـة ، فقد جعل منها مدينة حرة ، وأعطاها الحق في أن تكون لها عملة خاصة بها ، وقد زاد من أهميتها أنها كانت ملتقى الطـرق الصحراوية الآتية من أعماق أفريقيا جنـوب الصـحراء ، كمـا أن زراعة أشجار الزيتون في منطقتها مزدهرة ، وقد بنى الرومان فـي ربوعها منشآت عديدة لم يبق منها سوى قوس النصر المنسوب إلـى الإمبراطور ماركوس أوريليوس .

ثم انتقلت طرابلس إلى السيطرة البيزنطيـة ، وحـدث فـي القرنين الرابع والخامس الميلاديين أن وصلت قبائـل الفانـدال مـن أوروبا إلى شمال أفريقيا ووصلت إلى غرب ليبيـا ، وجـاء معهـم الاضطراب والفوضى والاقتتال ، فأصيبت طرابلس بأضرار ودمار ، بقيت تعاني منهما فترة طويلة حتى بعد أن أعاد البيزنطيون احتلالهـا عام 533 م .

وفي عام 643 م استولى عليها جيش الفتح الإسلامي بقيـادة عمرو بن العاص ، وسميت منذئذ أطرابلس طبقاً لما ورد في رسـالة بعث بها عمرو بن العاص إلى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال فيها :

[... إن الله فتح علينا أطرابلس ، ولـيس بينهـا وبـين أفريقية إلا تسعة أيام، فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحهـا الله على يديه فعل].

ولكنها نطقت أيضاً في وقت تالٍ : طَرَابُلس أو طْـرَابْلُس ، وبدأ الاسم منذئذ يطلق على المدينة وعلى الإقليم ، كما لقبت طرابلس باسم المدينة البيضاء لبياض مبانيها ونظافتها .

وظلت طرابلس تابعة لعمال الخلفاء الراشدين إلى الفترة مـا بين 800 و 909م ، حيث تم انتقالها إلى حكم الأغالبة ، ثم خضـعت للعبيديين الفاطميين، ثم استقل بها بنو مطروح ، وفي القرن الحـادي

عشر وصلت هجرات بني هلال وبني سليم ، وكان لهـذه الهجـرات الفضل الأكبر في تعريب سكانها .

وفي عام 1143 م حاول الملك روجرز ، ملك صـقلية ، أن يحتلها لكنه فشل ، غير أن هذا الفشل لم يمنعه من إعادة الكرة مـرة أخرى عام 1146 م لينجح في الاستيلاء عليها ويفرض الجزية على سكانها ، إلى أن جاء عام 1158م حين استطاع يحيى بن مطروح أن يستردها ويطرد الحامية الصقلية ، ولتبدأ المدينة عهـداً جديـداً مـن النشاط التجاري والعلائق الخارجية مع جمهوريات إيطاليا ، خاصـة البندقية (فينيسيا) حيث كانت تصدر إليها الزيت والملـح والشـمع والإسفنج والصودا ، وتستورد المنسوجات القطنية والكتان والحريـر والقطيفة والزجاج .

ثم تعرضت طرابلس لغزو مفاجئ من قبل أمير جنوا ، مـا زاد العلائق بينهما وبين البندقية قوة ومتانة .

وفي عام 1510م تعرضت لمحنة أخرى قاسية ، تمثلت فـي غارة الجيوش الإسبانية التي منحتها عام 1535م إلى فرسان القـديس يوحنا (سان جون) في مالطا الذين حكموها حتـى طـردهم منهـا الأتراك عام 1551م ليبدأ العهد التركي الذي تخللته فترة حكم الأسرة القره مانلية (1711 ــ 1835 م) وفي هذه الفترة أصبحت أساطيلها تجوب البحر المتوسط ، تتحدى وتتصدى للصليبيين وكل المعتـدين ، وتحمي ديار المسلمين ، إلى أن أصيبت تركيا بالعجز والهرم والوهن

والهوان ، وتقاسم الأوربيون امبراطوريتها ، وفي سياق هذه الوقـــائع بدأ الغزو الإيطالي عام 1911 م ، وكانت طرابلس بين أوائل المـــدن التي استهدفها الغزو ، ووقعت على شواطئها معارك ضارية ، أهمها معركة الشط التي ما برح الليبيون يحيون ذكراها كلما حلت .

وفي الفترة الإسلامية كتب عن طرابلس عـــدد كبيـــر مـــن الرّحّالة والمؤرخين والجغرافيين المسلمين : ـــ

وتحدث عنها اليعقوبي فقال :

[. . . أطرابلس مدينة قديمة جليلة ، على ساحل البحـــر ، عامرة آهلة، وأهلها أخلاط من الناس ، افتتحها عمرو بن العـــاص سنة ثلاث وعشرين في خلافة عمر بن الخطاب .

وكانت آخر ما افتتح من المغرب في خلافة عمـــر ، ومـــن أَطْرَابُلُس إلى أرض نفوسة ، وهم قوم عجم الألسن . . . ومنازلهم في جبال أَطْرَابُلُس، في ضياع ، وقرى، ومزارع ، وعمارات كثيرة ؛ لا يؤدون خراجاً إلى سلطان ، ولا يعطون طاعة إلا إلى رئيس لهـــم بتاهَرْت ، . . . وديار نفوسة متصلة من حد أَطْـــرَابُلُس ممـــا يلـــي القبلة إلى قريب من القيروان ، ولهم قبائل كثيرة ، وبطون شتى .

ومن أَطْرَابُلـــُس على الجادة العظمى إلى مدينة يقـــال لهـــا قابس ـــ عظيمة على البحر المـــالح ، عـــامرة كثيـــرة الأشـــجار ، والثمار، والعيون الجارية،...وبها عامل من قبل ابن الأغلب صاحب

إفريقيا ــ خمس مراحل عامرة ، . . . فأولها ويلة أول مرحلة مــن أطرابلس ، ثم صَبْرة وهي منزل به أصنام حجارة قديمة ، ثم قصــر بن حبان ، ثم بام وهي ، ثم الفاصلات ، ثم قابس . .] .

كما ذكرها ابن خرداذبة في كتابه (المسالك والممالك) وقال عنها :

[. . . كانت أطرابلس أي ثلاث مدائن ، وكانــت للــروم ، فجلت الروم إلى صقلية] .

كما وصفها الكرخي في كتابه (المسالك والممالك) فقال :

[. . . وأما طرابلس المغرب فهي من عمل أفريقية ، وهي مدينة مبنية من الصخر على ساحل بحر الــروم ، خصــبة واســعة الكورة ، حصينة جداً].

أما ابن حوقل فقد تحدث عنها في كتابه (صورة الأرض) ، وقال :

[. . . فأما أطرابلس فكانت قديماً مــن عمــل أفريقيــة ، وسمعت من يذكر أن عمل أفريقية لما كانت أطرابلس مضافة إليهــا معروف معلوم ، وكانت من صبرة ، وهي منزل من أطرابلس علــى يوم ، وبه ضريبة على القوافل وقتنا هذا ، ولم أعرفها قــديماً ، ولا سمعت بها على الخارج من أطرابلس إلى القيروان ، وعلى القــادم

من القيروان إلى أطرابلس غير ما يقبضـه المتـولي مـن عمـل أطرابلس من كل جمل ومحمل وحمل ، وذلك كالذي بلبـدة ، وهـي أيضاً قرية بينها وبين أطرابلس إلى جهة المشرق مرحلتان ، مـن الضريبة على الجمال والأحمال والمحامل والبغال والرقيـق والغـنم والحمير ، إلى ما عدا ذلك من الأسباب الـواردة وأخـذ الصـدقات والخراج واللوازم من ناحية قصري ابن كمو وابـن مظلـود . . . وهي مدينة بيضاء من الصخر الأبيض على ساحل البحر ، خصبة ، حصينة ، كبيرة ذات ربض، صالحة الأسواق ، وكان لها في ربضها أسواق كبيرة ، فنقل السلطان بعضها إلى داخل السور ، وهي ناحية واسعة الكور ، كثيرة الضياع والبادية ، وارتفاعها دون ارتفاع برقة وقتنا هذا. وبها من الفاكهة الطيبة اللذيذة الجيـدة القليلـة الشـبه بالمغرب وغيره ، كالخوخ والفرسك والكمثرى اللذين لا شبه لهمـا بمكان ، وبها الجهاز الكثير من الصوف المرتفع ، وطيقان الأكسية الفاخرة الزرق والكحل النفوسية السود والبيض الثمينة ، إلى مراكب تحط ليلاً ونهاراً ، وترد بالتجارة على مر الأوقات والساعات صباحاً ومساءً ، من بلد الروم وأرض المغرب ، بضروب الأمتعة والمطاعم، وأهلها قوم مرموقون من بين من جاورهم بنظافة الأغراض والثياب والأحوال ، متميزون بالتجمل في اللباس وحسن الصور والقصد في المعاش إلى مروءات ظاهرة وعشرة حسنة ، ورحمة مستفاضـة ، ونيات جملية ، إلى مراء لا يفتر ، وعقول مستوية ، وصـحة نيـة ومعاملة محمودة ، ومذهب في طاعة السلطان سـديد ، ورباطـات

كثيرة ومحبة للغريب أثيرة ذائعة، ولهم في الخير مذهب من طريق العصبية لا يدانيهم أهل بلد ، إذا وردت المراكب ميناءهم عرضت لهم دائماً الريح البحرية ، فيشتد الموج لانكشافه ويصعب الإرساء ، فيبادر أهل البلد بقواربهم ومراسيهم وحبالهم متطوعين ، فيقيَّد المركبُ ويرسى به في أسرع وقت بغير كلفة لأحد ، ولا غرامة حبَّة ولا جزاء بمثقال] .

أما المقدسي فيقول عنها في كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) [. . . . **وأطرابلس مدينة كبيرة على البحر ، مسورة بحجارة وجبل ، لها باب البحر وباب الشرق وباب الجوف وباب الغرب ، وشربهم من آبار وماء مطر . . . كثيرة الفواكه والأنجاص والتفاح والألبان والعسل] .**

وتحدث عنها البكري في كتابه (المسالك والممالك) فقال :

[. . . إن أهل طرابلس من أحسن خلق الله معاشرة وأجودهم معاملة وأبرهم بغريب] .

ومدينة طرابلس ، ويذكر أن تفسير طرابلس بالأعجمية الإغريقية ثلاث مدن ، وسماها الإغريق طربليطة ، وذلك بلغتهم أيضاً ثلاث مدن لأن طر معناها ثلاث ، وبليطة تعني مدينة ، وقد بناها أشفاروس قيصر .

وتسمى أيضاً مدينة طرابلس مدينة أنـاس ، وعلـى مدينـة طرابلس سور ضخم جليل البنيان وهي على شاطئ البحر ، ومبنـى جامعها أحسن مبنى ، ولها أسواق حافلة جامعة ، وحمامـات كثيـرة فاضلة ، وبطرابلس مسجد يعرف بمسجد الشعاب مقصـود ، وفيهـا رباطات كثيرة يأوي إليها الصالحون ، أعمرهـا وأشـهرها مسـجد الشعاب ، ومرساها مأمون من أكثر الرياح .

ومدينة طرابلس كثيرة الثمار والخيرات ، لها بساتين جليلـة إلى شرقيها، ويتصل بالمدينة سبخة كبيرة يرفع منها الملح الكثيـر ، وداخل مدينتها بئر يعرف ببئر أبي الكنود ، يعيرون به ، ويحمق من شرب منه .

ولمدينة طرابلس فحص يسمى سوفجين ، يصاب فيه بعـض السنين للحبة مائة حبة ، وهم يقولون فحص سوفجين يصيب سنة من سنين] .

أما الإدريسي ، فقد تحدث عن طرابلس في كتابـه (نزهـة المشتاق في اختـراق الآفـاق) فقـال : **[. . . 147 . . ومدينـة طرابلس مدينة حصينة ، عليها سور حجارة ، وهي في نحر البحر ، بيضاء حسنة الشوارع ، متقنة الأسواق ، وبها صناع وأمتعة يتجهز بها كثير من الجهات ، وكانت قبل هذا مفضلة العمارات من جميـع جهاتها ، كثيرة شجرة التين والزيتون ، وبها فواكه جمة ونخـل ،**

وأرض طرابلس عديمة المثال في إصابة الزرع ، ولا يدرى أن على معمور الأرض مثلها في ذلك ، وهذا مشهور معلوم .

. . . ومن مدينة أطرابلس في جهة الشرق إلى مدينة صرت مائتان وثلاثون ميلاً ، وهي إحدى عشرة مرحلة ، وذلك أن السائر يخرج من مدينة أطرابلس إلى المجتنى عشرون ميلاً ، ومن المجتنى إلى ورداسا ، إلى رغوغا خمسة وعشرون ميلاً ، ومن رغوغا إلى تاورغا اثنان وعشرون ميلاً ، ثم إلى الأصنام ثلاثون ميلاً ، ثم إلى صرت ستة وأربعون ميلاً ، وهذه الطريق تبعد عن الساحل تارة وتقرب أخرى].

أما عبدالواحد المراكشي فيتحدث عنها في كتابه (المعجب في تلخيص أخبار المغرب) ويقول :

[. . . أما مدينة طرابلس فلم تزل معمورة إلى هذا الوقت . وكانت العمارة متصلة من مدينة الإسكندرية إلى مدينة القيروان ، تمشي فيها القوافل ليلاً ونهاراً ، وكان فيما بين الإسكندرية وطرابلس الغرب ، حصون متقاربة جداً ، فإذا ظهر على البحر عدو نوّر كل حصن للحصن الذي يليه ، واتصل التنوير ، فينتهي خبر العدو من طرابلس إلى الإسكندرية ، أو من الإسكندرية إلى طرابلس في ثلاث ساعات أو أربع ساعات من الليل ، فيأخذ الناس أهبتهم ويحذرون عدوهم] .

أما العبدري فقد قال عنها : [. . . ثم وصلنا إلى مدينة طرابلس ، وهي للجهل مأتم ، وما للعلم بها غرس ، أقفرت ظاهراً وباطناً ، تلمع لقاصدها لمعان البرق الخلّب ، وتريه ظاهراً مشرقاً والباطن قد قطب ، اكتنفها البحر والقفر ، واستولى عليها من عربان البر ونصارى البحر النفاق والكفر ، وتفرقت عنها الفضائل تفرق الحجيج يوم النفر ، لا ترى شجراً ولا ثمراً ، ولا تحوي في أرجائها موضأ و لا نهراً ، ولا يجتلي روضاً يحوي نوراً ولا زهراً، بل هي أقفر من جوف حمار ، وأهلها سواسية كأسنان الحمار . ليس على ناشئ فيهم فضل لذي شيبة ولا لذي الفضل بينهم هيبة ، ترى أجساماً حاضرة ، والعقول في غيابات الغيبة ، وملابس يلبسها ليلبس بها من ملأ العيون العيبة ، إلى بخل لو مازج ماء البحر جمد، وخالط الهواء سكن في آذار وركد ، وخلق يضيق به متسع الفضاء ، ونزق يحق له في ذمة كشف الغطاء ، وأذهان أربت في الضيق على الخاتم ، سواء لديها من حارب أو من سالم ، كأنهم من ضيق أمامهم لم يخرجوا بعد إلى العالم ، فسبحان من خلقهم وأهل تونس طرفي نقيض ، أولئك في الأوج وأولاء في الحضيض ، ولم أر بها ما يروق العيون ، وسما عن أن يقوم بالدون ، سوى جامعها ومدرستها ، فإن لهما من حسن الصورة نصيباً ، ومن إتقان الصنعة سهماً مصيباً ، وما رأيت في الغرب مثل مدرستها المذكورة ، لولا أن محاسنها مقصورة على الصورة ، فما يشب بها للعلم طفل ، ولا يشب صرورة .

ولم أر بطرابلس أثر عناية إلا ما تقدم ذكره ، إلا قبة بباب البحر من بناء الأوائل في غاية الإتقان ، ونهاية الإحكام ، مبنية من صخور منحوتة في نهاية العظم ، منقوشة بأحسن النقش ، مرصوفة بأعجب الرصف ، متماثلة المقدار علويها وسفليها ، ولا ملاط بين الصخور من طين وغيره ، ومن العجيب ترتيب تلك الصخور ورصفها في الأساس ، فضلاً عن رفعها إلى السقف ، ووصولها إلى هناك ، مع إفراط عظمتها ، وفي مقعد القبة صخرة مستديرة منقوشة ، يحار الناظر في حسن وصفها ، وعلى القبة قبة أخرى عالية ، ومبان مرتفعة ، ورأيت للقبة السفلى باباً مسدوداً ، وعليه من خارجها صورة أسدين قد اكتنفاه مصورين من تلك الصخور بأبدع صنعة وأغربها ، وهما متقابلان على الباب ، وفي كل واحد منهما صورة لجام أمسك بعنانه شخص واقف وراءه وقد منعه أشد المنع ، ولعل ذلك كان لمعنى تعطل وجهل سره ، والله أعلم] .

أما ابن رشيد السبتي فيتحدث عنها في رحلته ويقول :

[. . . رأينا بلداً حسنا وناساً فضلاء . . وبها مدينة حسنة الوضع ، رائقة الصنع ، والمدينة بجملتها حسنة البناء ، متسعة الشوارع حتى كأنها تحاكي شيأ ما من وضع الإسكندرية .

واجتزت تلك الليلة التي أقمنا بها ، بعد المغرب ، بشارعها الأكبر ، ولم أكن عرفت المدينة ، فنفحني نسيم عاطر ، كأنه باكرة ماطر ، فخلت نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل ، فالتفت نحو تضوعه

متنشقاً ذلك النسيم ، وعهدي بتنسم العطر عهد قديم ، فألفيت عـن يسار المار باباً شارعاً ، ولما حوله من الأبواب فارعــاً ، فتوقفـت أتنشق ذلك العرف إلى أن تعرفت أنها مدرسة ، فأقدمت على الدخول تحكيماً في الأذن للعرف ، فوافيت وسطها روضة مخضلة من خيريّ أحمر ، قد استوى على سوقه ، وناصى بعضه بعضاً بسوقه ، وقـد علل بالسقي شجره فأينع ، وتفتح زهره فاستكمل واستجمع، فأقمت بها ساعة أتعلل بذلك النسيم ، وكأني حللت بجنة النعـيم ، وكلمـا انسحب الظلام ، ذلك التمام ، ولد ذلك الابتسام] .

أما الرّحّالة التيجاني فقد قال عنها في رحلته : [. . . ولمـا توجهنا إلى طرابلس وأشرفنا عليها كاد بياضها مع شعاع الشـمس يعشى الأبصار ، فعرفت صدق تسميتهم لهـا بالمدينـة البيضـاء ، وخرج جميع أهلها مظهرين للاستبشار رافعين أصواتهم بالدعاء . . وتخلى والي البلد إذ ذاك عن موضع سكناه وهو قصبة البلد فنزلنـا بها . . ورأيت آثار الضخامة بادية على هـذه القصـبة ، غيـر أن الخراب قد تمكن منها ، وقد باع الولاة أكثرها ، فما حولها من الدور التي تكتنفها الآن إنما استخرجت منها ، ولها رحبتـان متسـعتان ، وفي الخارج منها المسجد المعروف في القديم بمسجد العشرة ، كان عشرة من أشياخ البلد كانوا يجتمعون فيه للمشورة فيـدبرون أمـر البلد ، وذلك قبل تملك الموحدين لها ، فلما تملكوهـا ارتفـع ذلـك الرسم ، وزال عن المسجد ذلك الاسم.

فلم أر أكثر منها نظافة ، ولا أحسن اتساعاً واستقامة ، ذلك أن أكثرها يخترق المدينة طولاً وعرضاً من أولها إلى آخرها ، على هيأة شطرنجية ، فالماشي يمشي بها مشي الرخ خلالها .

وخارج باب البحر منها منظر من أنزه المناظر ، مشرف على الساحل حيث مرسى المدينة ، وهو مرسى حسن متسع تقرب المراكب فيه من البر ، وتصطف هناك اصطفاف الجياد في أواذيها .

وكان فيما يقابل هذه القصبة موضع يعرف بالرياض ، مخصوص بوالي البلد ، وأصله من مباني بني مطروح رؤساء طرابلس في القديم ، ويذكر عن حسنه وثماره وضخامة مبانيه وهو الآن خرب ، غير أن به آثاراً دالة على ما يذكر عنه ، وقد أقطع هذا الموضع في هذا الوقت لبعض العرب، فغيره عن حاله ، وابتنى في موضعه داراً .

ودخلت حمام البلد وهو المجاور للقصبة ، فرأيت حماماً صغير الساحة، إلا أنه قد بلغ من الحسن غايته ، وتجاوز من الظرف نهايته ، وكان هذا الحمام من منافع القصبة ، فبيع من جملة ما بيع منها ، وهو الآن محبس على بعض المساجد ، وبالبلد حمامان آخران غيره إلا أنهما في الحسن دونه ، ورأيت شوارعها فلم أر أكثر منها نظافة ولا أحسن اتساعاً واستقامة ، وذلك أن أكثرها تخترق المدينة طولاً وعرضاً من أولاها إلى آخرها ، على هيأة شطرنجية ، فالماشي يمشي بها مشي الرخ خلالها، ورأيت

بسورها من الاعتناء واحتفال البناء ما لم أره لمدينة سواها ، ومـــا تحتاج إليه من مهم أمورها ، فهم ما يزالون أبداً يجددون البناء فيه، ويتداركون تلاشيه بتلافيه ، ورأيتهم قد شرعوا فـــي حفـــر خنـــدق متسع ، يرومون أن يصلوه بالبحر من كلا جانبي البلـــد ، وابتـــداء حفره من الركن الذي بين القبلة والمشرق ، وعارضهم في حفـــره هنالك موضع يعرفونه بالرملة ، وهو حقف رمل متسع لاصق إلـــى جانب السور وما يزالون أبداً يتكلفون نقله من ذلك الموضع ، فـــإذا جهدوا جهدهم في حمله ورميه في البحر ، أعادته الريح كما كان ، لا تقدمه عن موضعه ولا تؤخره واختصاص ذلـــك الموضـــع لـــذلك الكثيب من الرمل مع أن ما حوله من البقاع قد ارتفعت كثائبها لمـــا تسفي الرياح من الرمال عليها ، وأخبرني أبوالعباس أحمد بن محمد بن يملول أن ذلك الموضع أيضاً من عجائب بلـــدهم ، وأنهـــم مـــا يزالون يرصدونه فلم يروا قط رملاً عليه ، وأن الرياح ربما اشـــتد هبوبها ، فيرون الرمال تتفرق عنه يميناً وشمالاً .

وكان افتتاح طرابلس في القديم على يد عمرو بن العـــاص رحمه الله تعالى ورضي عنه ، بعد افتتاحه لمصـــر والإســـكندرية ، وذلك سنة اثنين وعشرين . . . سار إليها في جيشه فنـــزل علـــى شرقها من الجهة الشرقية ، وأقام عليها شهراً لا يقدر منهم علـــى شيء كانوا قد استعانوا بقبيل من البربر يعرفون بنفوسة ، دخلـــوا معهم في دين النصرانية ، فخرج ذات يوم من عسكر عمرو رجـــل

من بني مدلج يتصيد في نفر معه فأمعن العسكر إلى جهة غربي المدينة ، ومال إلى شاطئ البحر ، والبحر لاصق بالمدينة ، وليس بالمدينة إذ ذاك من جهة البحر سور ، بل كانت سفنهم شارعة إلى بيوتهم ، فنظر المدلجي وأصحابه إلى البحر قد حسن من جهة المدينة عن مسلك يمكن النفوذ إليها منه ، فندبوا معهم جماعة واقتحموا المدينة فلم يكن للروم مفزع إلا سفنهم ، وأبصر عمرو أصحابه في جوف المدينة ، فأقبل بجيشه حتى دخل عليهم ، فلم يفلت من الروم سوى من خف في سفينة ، واحتوى عمرو على المدينة ، فهدم سورها وارتحل عنها ، ثم جدد بناء سورها من جهة البر على يد عبدالرحمن بن حبيب المتغلب على أفريقية في آخر دولة بني أمية سنة اثنين وثلاثين ومائة ، وتأخر بناؤه من جهة البحر إلى ولاية هرثمة بن أعين على أفريقيا من قبل الرشيد سنة ثمانين ومائة فهو الذي ابتناه عل يد ثقته زكرياء بن قادم ، ثم زاد في إتقانه ورَفْعِ بنائه من جهة البر والبحر معاً ، أبو الفتح زيان الصقلبي ، متولى طرابلس عام خمسة وأربعين وثلاثمائة .

ويحيط بهذا السور الآن فصيل آخر أقتصر منه على العادة في ذلك ، يسمونه الستارة ، ولم يكن في القديم ، وإنما أمر ببنيانه الشيخ أبومحمد عبدالواحد بن أبي حفص أيام وصوله إلى طرابلس في شهر شعبان من سنة أربع عشرة وستمائة ، رأيت هذا مكتوباً على باب من أبواب الستارة يعرف بباب عبدالله ، ولم يصلوا هذه

الستارة حين بنوها بالبحر ، وإنما انتهوا بها إلى الباب الأخضـر ، وبينه وبين البحر فسحة فأتمت بالبناء أيام مقامنا بطرابلس .

وكان زيادة الله بن الأغلب لما تغلب الشيعي على أكثر بلاد أفريقية وقد هرب من رقادة فاراً أمامه ، فتوجه إلى طرابلس فأقـام بها أياماً ثم انفصل عنها متوجهاً إلى المشرق ، ووصل بعـد ذلـك الشيعي إلى رقادة فولّى عليها أخاه أبا العباس وتمام بن المبـارك ، ثم انفصل إلى سجلماسة ، واستخرج عبيد الله المهدي من سـجنه ، ودعا له بالخلافة ، وذلك سنة سبع وتسعين ومائتين ، فلما استقامت الأمور للمهدي وقتل أبا عبيد الله الشيعي وأبا العباس أخاه ، جهـز جيشاً إلى طرابلس مع بعض قواده ، فحاصرها مدة ثم انصرف عنها خائباً ولم يفتتحها ، فغاظ ذلك عبيد الله ، فوجه ولده القاسم الملقب بعبد القائم ، فكان خروجه لذلك في جمادى الأولى من سـنة ثـلاث وثلاثمائة فحاصرها وضيق عليهم إلى أن فنى طعامهم وافتتحهـا ، وقد كانوا أسمعوه شراً ، ونالوا من عرضه كثيراً ، فسـالمهم فـي أنفسهم إلا قليلاً منهم ، وأغرمهم ما أنفق علـى الجـيش ، وذلـك أربعمائة ألف دينار ، وكان المتولي لتغريمهم وتعذيبهم خليـل بـن إسحاق ، وهو من أبناء جندها وممن ولد بها ، وكانت لـه صـولة وهيبة وحظ قليل من العلم ، وباع متسع في الأدب ، وسيأتي خبـر وفاته بعد هذا ، واستخلف عليهم أبوالقاسم القائم والياً من قبله ، ثم انصرف عنهم .

ولما انفصل العبيديون إلى مصر ، وتركــوا الصــنهاجيين بأفريقيا استولى بنو خزرون الزناتيون على طرابلس ، وكانت بيــنهم وبين الصنهاجيين وقائع كثيرة ، أشار الرفيق في تاريخه إلى بعضها، ولم تزل بأيدي الزناتيين إلى سنة أربعين وخمسمائة ، وكانت في تلك السنة شدة عظيمة ومجاعة هلكت فيها الناس ، وفروا عن أوطانهم ، فجهز إليها " لجار " صاحب صقلية أسطولاً حاصرها به ، وذلك بعد استيلائه على المهدية وصفاقس واستقرار ولاته فيها، ووقع بين أهــل طرابلس خلاف أدى إلى تغلب الأسطول المذكور عليها ، فأحسن قائده جرجي بن ُميخائيل إلى أهلها لما أضمره من تملك غيرها من الــبلاد الساحلية ، وأبقى فيها جنده من المسلمين والصقليين وغيرهم ، وولّى على البلد شيخه أبا يحيى بن مطروح التميمي ، وجعل قاضيهم رجلاً منهم يعرف بأبي الحجاج يوسف بن زيري ، وهو صاحب التــآليف المعروف بالكافي في الوثائق ، فكانت أحكام المسلمين كلها مصروفة إلى واليهم وقاضيهم ، ولم يكن النصــراني يتعــرض لشــيء مــن أحكامهم.

وأقامت تحت تغلب النصارى اثنى عشر عاماً أو نحوهــا ، إلى أن افتتح الموحدون أكثر بلاد أفريقيــة ، فخــاف النصــارى أن يكاتبهم أهل طرابلس، فأحبوا أن ينشروا بينهم عداوة ، فــأمروهم أن يصعدوا المنابر ، فيتكلموا في جهة الموحدين بسوء ، فــأعظم أهــل طرابلس ذلك ، واجتمعوا عنهم إلى قاضيهم أبي الحجاج ، فسفر بينهم وبين النصارى ، وأعلم النصراني عنهم أنه لا سبيل إلى نيــل ذلــك

منهم ، وأن الأمر إنما كان العقد بينهم أن لا يكلفوا المسلمين بشيء مما يخالف دينهم ، وذكر أهل الدين بسوء مما يخالف الدين ، فإن رضوا منهم هذا وإلا سلموا لهم البلد وخرجوا عنهم ، فأعفاهم النصراني من ذلك ، وأحدث الله عند أهل طرابلس عزماً على القيام عليهم والتخلص من أيديهم ، فأسرّوا النجوى بذلك بينهم واتعدوا لليلة معينة ، ونصبوا تلك الليلة في الطرقات خشباً وأناشيط تمنع الخيل من الجري فيها ، وثاروا عليهم ، فبادر النصارى إلى خيولهم وركضوها، فلم تجد مجالاً فأخذوا قبضاً باليد ، وعاد البلد إلى تملك المسلمين ، وكان هذا في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ، وحكم على البلد شيخه أبو يحيى بن مطروح وكان رجلاً ، شهماً حازماً وصانع العرب المجاورين له فاستقام حاله .

ولما نزل الخليفة عبدالمؤمن إلى أفريقية افتتح المهدية ، ووصلت إليه وفود البلاد ، وذلك في سنة خمس وخمسين ، فكان من جملتهم وفد طرابلس ، وشيخه ابن مطروح ، فبايعوا عبد المؤمن ، وقدمه عبد المؤمن على أهل بلده ، فلم يزل محمود السيرة فيهم ، إلى أن عجز في أيام ابي يعقوب بن عبد المؤمن وقيّده الهرم ، فطلب التوجه إلى الحج ، فسرحه السيد أبو زيد أبو السيد أبو حفص ، وهو إذ ذاك صاحب تونس ، فتوجه بجميع أهله في البحر ، واستقر في الإسكندرية فمات بها وبقيت ذريته هنالك إلى الآن ومنهم رؤساء وأدباء .

وفي فصل من مياومة الفاضل البيساني قال : وفـــي شـــهر رجب ـ يعني من سنة ست وثمـــانين وخمســـمائة ـ وصـــل إلـــى الإسكندرية في البحر شيخ طرابلس أبو يحيى بن مطروح ، وهو شيخ كبير قد أضر وعجز عن الحركة، وذكر باقي خبره ، وأهل طرابلس يتحدثون أن النصارى ملكوا بلدهم مرة أخرى ، وذلك ليس صـــحيحاً وإنما أخذها النصارى من حين الفتح الإسلامي هذه الأخذة فحسب .

وقد قدمنا فيما سلف من كتابنا هذا ، الخبـــر عـــن وصـــول قراقوش من المشرق في سنة ست وثمانين وخمسمائة وأنـــه حصـــر طرابلس بمن التف عليه من العربان حتى استولى عليها ، وكانـــت إذ ذاك خالية من الأقوات والأجناد، لأنهم بعد بيعـــتهم لعبـــد المـــؤمن ، واستقرار بلدهم في ملك الموحدين لم يتوقعـــوا ثـــائراً ولا مخالفـــاً ، فملكها قراقوش وبقيت تحت بيعته سنين يسيرة ، ثم انتفضت عليه هي وغيرها من البلاد ، فأظهر الهجرة إلى الموحدين مخادعـــاً ، وأقـــام لديهم مدة ثم فر عنهم مبادراً إلى قابس فاستولى عليهـــا ، ثـــم إلـــى طرابلس فملكها أيضاً ، وأقام بها حتى وصل إليها يحيى الميورقي من بلاد الجريد قاصداً حصاره ، فخرج إليه قراقوش من طرابلس وترك نائباً عنه بها ، ثقته ياقوتاً المعروف بالافتخار وكـــان اللقـــاء بينهمـــا بالموضع المعروف بمحسن من جهات طرابلس ، وهو الذي يقول فيه عبدالبر بن فرسان : (طويل)

ألا لا سقى الرحمن محسن قطرة

ولا زال مغبرا الجوانب محسن

وخيّب قطيسا من الغيث كله

ولا ابتلّ فيه للرّكائب فرسن

فانكسر قراقوش كسرة شنيعة ، وتوغل في جبال طرابلس ، وتبعه الميورقي أياماً ، ثم رجع إلى طرابلس فحصر بها ياقوتاً المذكور فلم يقصر في دفاعه ، وضبط البلد ضبطاً عظيماً ، فكتب الميورقي إلى أخيه عبدالله وهو إذ ذاك صاحب ميورقة ، يطلب منه الإعانة ببعض أسطوله ، فوجه إليه قطعتين ضيق بهما على طرابلس تضييقاً شديداً ، إلى أن استولى عليها ، فامتن على أهلها بالعفو ، وحصل نائب قراقوش في يده فوجه إلى ميورقة في القطع التي وصلت إليه منها ، ولما حصل بها قيده عبدالله بقيد ثقيل ، وتركه في سجنها ، فلم يخرج منه إلا بعد استيلاء الموحدين على ميورقة ، وقتلهم لعبدالله المذكور ، وذلك في سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، فحينئذ خرج ياقوت وتوجه إلى مراكش فبقي بها إلى أن مات ، وترك يحيى بن إسحاق ابن عمه تاشفين بن غازي نائباً عنه بطرابلس وخرج منها ، فأقام بها تاشفين المذكور مدة ، ثم ثار عليه أهلها وأخرجوه منها ودخلوا تحت طاعة الموحدين فتولت عليهم حفاظها إلى الآن] .

وكتب عنها ابن بطوطة في كتابه (غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) فقال : [. . . **ثم خرجنا من مدينة قابس قاصدين طرابلس ، وصحبنا في بعض المراحل إليها نحو مائة فارس أو يزيد، وكان بالركب قوم رماة فهابتهم العرب ، وتحامت مكانهم ، وعصمنا الله منهم ، وأظلنا عيد الأضحى في بعض تلك المراحل ، وفي الرابع بعده وصلنا إلى مدينة طرابلس ، فأقمنا بها مدة ، وكنت عقدت بصفاقس على بنت لبعض أمناء تونس ، فبنيت عليها بطرابلس ، ثم خرجت من طرابلس أواخر شهر محرم من عام ستة وعشرين، ومعي أهلي ، وفي صحبتي جماعة من المصامدة وقد رفعت العلم وتقدمت عليهم ، وأقام الركب في طرابلس خوفاً من البرد والمطر**] .

ومن ملامح طرابلس التاريخية والسياحية المدينة القديمة ، التي أصبحت من التراث العالمي ، وتشرف عليها منظمة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة ، وتجري الآن عمليات ترميمها وإعادة بنائها ، وكذلك القلعة أو السراي الحمراء ، التي يرجع تاريخها إلى أكثر من 500 سنة مضت ، وقد تداولتها أيدي الغزاة ، إذ جعل منها الأتراك مقراً للحكومة ، ثم حولت في العهد الإيطالي إلى متحف عام للآثار والتاريخ الطبيعي ولحضارات ما قبل التاريخ ، وأضيف إليها مؤخراً متحف إسلامي ، وكان بطرابلس أجمل شاطئ (كورنيش) في

شمال أفريقيا ، لقبت بفضله بعروس البحر المتوسط بسـبب جمالهـا ونظافتها وعذوبة مائها .

وهي اليوم تعيش عهداً زاهراً باهراً ، فهي مدينـة المليـون ساكن.. مدينة المؤتمرات والحياة والجامعات والمطارات والعمـارات الشاهقة . . مدينة المعارض والمصانع والمزارع . . مدينة الأسواق والأرزاق والفنادق والحدائق . . مدينة السياحة والراحـة والسـماحة والسباحة . . وتحتفل في كل عام بإجلاء القواعد الأميريكية منـذ 11 الصيف (يونيو) عام 1970 م ، وإجلاء بقايا الإيطاليين الفاشسـت منذ 7 التمور (أكتوبر) من العام عينه ، وعلى الـرغم مـن أنهـا تعرضت لعدوان أميريكي غاشم في 15 الطير (أبريل) 1986 م ، لكن طرابلس باقية صخرة صلدة ، تتحطم عليها عوادي الزمن وكـل المحن ، وتتكسر عليها أطماع الأعداء المعتدين .

طال شوقي

شعر / أحمد بن يحيى

لقد طـــال شـــوقي إلـــى فتيـــة

حســـان الوجـــوه بـــا طـــرابلس

وقد عيل صبري فمـــا مســـعدي

على الشوق إلا دموعي الحـــبس

ـ بن يحيى ، أحمد ، في المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب .

ونجد للعبدري موقفاً غريباً عجيباً من مدننا ، وعلى رأسها مدينة طرابلس ، فهو ينفرد بهذا الموقف ، فهو يتجنى في أقواله على مدننا ، وخاصة مدينة طرابلس وأهلها ، وحديثه عنها وعنهم حديث إفك وافتراء وبهتان . . ففي الوقت الذي يكاد الرحالة الزوار يبدون إعجابهم بالمدن الليبية وكرم أهلها وحسن ضيافتهم للغريب والوافد ، ويمدحون الأيام التي قضوها في هذه المدن وما صادفوه من وداد وترحاب ومساعدة . .

فهو يخالف هؤلاء ويقذع في سبه وشتمه للمدن الليبية ، الأمر الذي يدل على أن موقفه موقف شخصي متحامل ، فالواقع وشهادة الثقاة من الرحالة والمصادر الأدبية كلها توكد أن ما قاله العبدري بعيد عن الحقيقة ، ناءٍ عن الصدق ، منغمس في الهوى والغرض والنية السيئة ، ولعل موقف العلماء والفقهاء منه ورفضهم لآرائه وفتاويه هو الذي دفعه إلى اتخاذ هذا الموقف العدائي الحاقد ، وقد تذهب الظنون بالقارئ مذاهب بعيدة وشتى حين لا يطلع على فحوى ما يزعمه العبدري عن طرابلس ، في قوله تحت عنوان (ذكر طرابلس) :

[ثم وصلنا إلى مدينة أطرابُلُس ، وهي للجهل مأتم ، وما للعلم بها عُرس ، أقفرت ظاهراً وباطناً ، وذمّها الخبير بها سائراً

وقاطناً ، تلمع لقاصدها لَمَعانُ البرق الخُلَّب[1] ، وتريه ظاهراً مشرقاً والباطن قد قطب ، اكتنفها البحر والقفر ، واستولى عليها من عربان البر ونصارى البحر النِّفاق والكفر ، وتفرقت عنها الفضـائل تَفَـرُّق الحجيج يوم النَّفْرِ[2] ، لا ترى بها شجراً ولا ثمراً ، ولا تخوضُ في أرجائها حوضاً ولا نَهْراً ، ولا تجتلي روضاً يحوي نَوْراً ولا زهراً ، بل هي " أقْفرُ من جَوْف حِمار "[3] ، وأهلُهـا " سواسـية كأسـنان الحِمار[4] ، ليس على ناشئٍ منهم فضلٌ لذي شَيْبَة[5]، ولا لذي الفضل منهم هَيْبَة[6] . ترى أجساماً حاضرة والعقول في عقل غيابات ألفيته ،

---

(1) برق خلب لا غيث فيه ، وفي المثل : إنما هو كبرق الخلـب ، انظـر الميداني ، 18/1

(2) النَّفْرُ : التفرّق .

(3) في المثل : أخلى من جوف حمار ، وهو رجل من عاد يقال له حمـار بن مويلع . وجوفه واد خصيب ، وفيه من كل الثمرات ، فخرج بنـوه يتصيدون فأصابتهم صاعقة فهلكوا ، فكفر وقال : لا أعبد من فعل هـذا ببني ، ودعا قومه إلى الكفر ، فمن عصاه قتلـه ، فأهلكـه الله تعـالى وأخرب واديه ، انظر ثمار القلوب 84 ، والميداني 1 / 257 .

(4) المثل في أمثال أبي عبيد 132 ، وجمهرة الأمثال 1 / 522 ، ومجمـع الأمثال للميدان 1 / 329 ، والمستقصى 2 / 123 ، وفصـل المقـال 196، واللسان سوا (9) .

(5) إشارة إلى قول كثير في ديوانه 384 :

سواءٌ كأسنان الحمارِ فلا ترى لذي شَيْبَةٍ منهم على ناشئ فضلاً

(6) في ط : بينهم .

ملابس يلبسها ليُلْبس بها من ملابس العيوب العيبة ، إلى بخــل لــو مازج ماءَ البحرِ جَمدَ، أو خالط الهواء سكن في آذار وركد ، وخُلُــقٍ يضيق به مُتَّسع الفضاء ، ونَزَق يحق له في ذَمِّهم كشــف الغطــاء ، وأذهانٍ أربت في الضيق على الخاتم ، سواء لديها[1] من حارب ومن سالم .

كأنَّهم من ضيق أفهــامِهِمْ لم يخرجُو بَعْدُ إلى العــالَم

فسبحان من خلقهم[2] وأهل تونس في طرفي نقيض ، أولئــك في الأوج وأُلاء في الحضيض] . أ . هــ .

---

(1) في ت : لديهم .

(2) في ت و ط : جعلهم .

8 ـ العبدري ، أبوعبدالله محمد بن محمد بن علي بن أحمــد بــن ســعود ، الرحلة ، (المتوفي بعد سنة 700هــ ـ 1300 م) ، دمشق ، دار سعد الدين ، 1419 هــ ـ 1999 ، ص ص 184 ـ 185 .

هذه القصيدة للأديب الفاضل

الشيخ أحمد بن عبدالدايم الأنصاري الطرابلسي

(..... وهي القصيدة التي أنشأها في مدح طـرابلس ، رداً على ما وصفها به العبدري في رحلته من أوصـاف لا تتفـق مـع الحقيقة[1] .

وقد شرحها الأستاذ أبوعبدالله محمد بن خليل غلبون ، وسمى شرحها (التذكار) ، وهو كتابه هذا ، وقد رأينا أن نجمعها مستقلة ليتمكن القارئ من الإطلاع عليها مجموعة متتالية .

قال الأستاذ أحمد بن عبدالدائم :

أرى زَمناً قد جاء يَقْتضيُ المَهَـا ... بلا جارح والأسـدُ فـي فلَواتهـا

رأى القيْض مبيضّاً بمزيلة الحمى ... فقال كفـاني إنـه مـن صـفاتها

أتى أهلـه يهْـوي وبشّـر أنـه ... بربقـة مـن ظِبيانهـا ومهاتهـا

فألقى قشوراً باليات وقـد رمـى ... بدائه أربابَ الحجى من نهاتهـا[2]

كمن رامَ أن يُبري العليل بحيـة ... وزارع شوك يرتجـي ثمراتهـا

ألا أيها النحرير مَهْ عـن مذمـة ... فما في الأواني بان من قطراتها[3]

* * *

---

(1) انظر مقدمة الكتاب .

(2) يشير على المثل (رمتني بدائها وانسلت) .

(3) يشير إلى قول الشاعر : وَكلُ إناء بالذي فيه يَرْشَحُ .

طرابلس لا تقبــلُ الــذمَّ إنهــا لها حسناتٌ جــاوزت ســيئاتها

إذا أمّها من قــد نأتــه بــلادُه وأوحشه ذُو أمرها من حُماتِهــا

تطامن عن نفس ومال وعشرة ويضحي بعزّ ما ثَوى بجهاتهــا

فكم من دُيُور أخربت وكنــائس وكم من حصون حُوصرت بسراتها

وكم من بلاد للصليبي مركــز أحاطوا بها ليلاً فأفنوا طغاتهــا

وكم من جَوَارٍ للكوفار ضــيقت على سُفُن الإسلام من نفحاتهــا

قد أضحت بمرساها أسيرة فلكها وعسكرها في جيرها من حفاتها

* * *

وكم من أُوَيْسي بها ذي معارف وكم من جُنَيْدي على شــرفاتها

بها فضلاءٌ ما الفُضيلُ يفــوقُهم فوارس أنجادٌ وهم من حماتهــا

قد اختارها الزروق داراً وموطنــاً كذا ابنُ ســعيد مُقتــد بهــداتها

تواترت الأقطاب تترى بأرضها وكم ســيد رامَ المقــامَ بــذاتها

* * *

بها علمــاء عــاملون بعلمهــم خمول عن الإظهار في خَلَواتها

ولم تر غشاً قط من جمع أهلها ولا قسماً في بيعهم من جُفاتهـا

إذا حان وقتُ للصـلاة رأيـتهم سِراعاً وخلّوا الربح في عَرَصاتها

رويداً فلا تعجل بـذمك للتـي تباهي بها الإسلام من غزواتهـا

بها ملك أندى من السحب راحة وأرأف بالأغراب من والـداتها

له همـةُ تعلُـو لتأييـد سـنة بحفظ مبانيها وجمـع رُوارتهـا

* * *

لعَمْرُك تلقى سوء قصدك عاجلاً وتسلبُ نورً العلم من بركاتهـا

فتب وانتصح لله إن كنت عارفاً ودعْ سوءَ ما أبديته من صفاتها

فلا تهج أُمّـاً للثغـور حنونـة كفاها مـديحاً عـدّكم هفواتهـا

ويكفي أهاليها من الفضل أنهـا رباطُ لمن قد قام في حجراتهـا

* * *

فجاءتك يا شرقيٌّ تسعى فراعِها وكن منصفاً ثم اجنِ من ثمراتها

وصلِّ وسلّم يا إلهي على الـذي نهى عن حظوظ النفس مع شـهواتها

في طرابلس

شعر / أبوالعباس بن محمد البرموني الرسولي

(. . . ونزلنا بالمنزل المذكور ، وأقمنا بـه يـوم الاثنـين والثلاثاء والأربعاء والخميس ، وأكرمنا بها أحبتنا ؛ المفتي أبوعبدالله المكني وابن أخته ابن مقيل وأولاد الأخ الصدوق أبي محمـد السـيد عبدالله بن غلبون ، رحمه الله تعالى وأرسل إليـه شـآبيب غفرانـه ووالى، وأهل دار الأخ المصافي والزلال الصافي أبي الحسن سـيدي علي النجار وسيدي أحمد بن جابر وصهره سيدي عبدالظاهر وسيدي عبدالله بن يحيى الحيجي[1] وسيدي محمد بن عبـدالله بـن فـرج الله وسيدي محمد بن عثمان ، وسيدي حامد بن محمد التواتي ، وابن عمه سيدي عبداللطيف بن عبدالقادر ، ولهم بجانبنا محبة صـادقة وأخـوة رائقة ، ولما رأى منهم الأديب البليغ الأريب صهرنا أبوالعباس بـن محمد الرموني نجاراً الشفشاوني منشأ وداراً ، ما يروق من الـوداد ويفوق من صفي الاعتقاد، مدحهم بما نصه ، قال :

إخوان صدقٍ في طرابلس سعوا   للمجـد بـالإدلاج والإسـعاد

ارزوا إلى فعل الكرام وأوسـعوا   وفد الحجيج من النعيم البـادي

برزوا إلى الإحسان في أوج العلا   مستوجبين فخار صدر النـادي

---

(1) ف . الحيجي .

فاقت صنائعهم صنيع ذوي النّدى شكر الفعال رواحهم والغـــادي

سبقت إلى الإحسان أنفسهم وقـــد تجروا لربّهم بمحامـــد الأيـــادي

فهم البحور الزاخـــرات لـــوارد عذب المناهل غنيـــة للصـــادي

فتزينـــت بهـــمُ طـــرابلس وقـــد بـــرزت بوجـــه نيّـــر وقّـــاد

تجلى عروساً زانها كـــف الحيـــا بقلائـــد العقيـــان فـــي الأجيـــاد

فترى الرياض أمامها ما بين مخـــ ـــضر يميس بغصـــنه الميـــاد

ومفضّضَ الأزهار حاكى كوكب الجوزاء أو برق السحيم الغادي[1]

ومورد ومعصفر فـــي روضـــة يسلو الفؤاد بـــه مـــن الأنكـــاد

فتخاله شـــرب العقـــار فينثنـــي سكراً ويطربه نشـــيد الشـــادي

والبحر حف بهم تخـــال أكفهـــم منه غدت تسري بكـــل مـــراد

لله من ســـفن بـــه يحملـــن مـــن نـــوع المتـــاجر دائـــم الإمـــداد

فرعى الالـــه ذويهـــا ونعـــيمهم وحماهُهم من صولة الآعـــادي

نشروا الأياد على البعاد وأوضـــحوا سبل الرشـــاد لمقتفـــي القصـــاد

---

(1) ت : أو مغرد الجسسيم القاد ، ف : أو برد السحيم الغادي ، والمقصود برق السحب الدكناء المثقلة وهو برق شديد ساطع .

حرصوا على نيل الهدى وسبيله فقفــوا ســبيل أئمــة أمجــاد

أعلام هــدي يهتــدي بمنــارهم وطريقهم في الــدين والإرشــاد

فالسالك الأرضي جنيــد زمانــه والشاذلي والجيلي فــي بغــداد

والعالم الأحظى ابن ناصر الذي نصر الإله به طريــق الهــادي

صلّى عليه الله مــا لاح بــارق أو درّ بــرق أو تــرنّم حــاد

طرابلس الغـرّاء

في وصف طرابلس

شعر / أحمد بن حسين بن الشيخ أحمد البُهلُول

وقال في وصفها عند شوقه لها الأريـــب اللبيـــب والشـــاعر الأديب أحمد بن حسين بن الشيخ أحمد البهلول رحمه الله أيام هجرته عنها بالجامع الأزهر:

طرابلس الغرَّا تُرى لــي عــودة	إليك وهل يدنو الذي كان قد ذهــب
سقى الجانب الشرقيَّ منك ســحابة	ولا زال فيه من رياح الصَّبا مهــب
بــلادٌ لهــا بالخلــد شــبهة آيــة	فمنها نباتُ الزَّعفران كــذا العنــب
ترى سوحها من فضَّة فإذا اكتست	بشمس الضحى أضحت لُجَيْنتُها ذهــب
وفي كل حول حولها حُلّــةٌ حلــت	برؤيتها خضراءُ من سُندس القصب
وفيها نخيلٌ باســقات إذا الصَّــبا	تَهُبُّ عليها أسقطتْ يــانع الرُّطــب
وفيها من الأشجار ما جلَّ وصــفُه	بأوْراقها الورقاءُ غنَّت من الطَّــرب
وفي ثغرها ظفرُ الرُّضاب وعينهاالــ	ــتي قد سمت من فضة آية العجــب[1]

---

(1) ذكر الشاعر أن في ثغر طرابلس عيناً ، وشبهها بالفضة لصفائها ، وهي غيــر معروفة اليوم ولا يوجد اليوم في المدينة ولا فيما جاورها عين ماء، إلا العــين التي بجوار الشيخ الشعاب من الجهة الشرقية . وهي قريبة من البحر ، ينحسر الماء دونها ، وهي عذبة الماء ونبعها ضعيف، وتعرف إلى اليوم : بالعوينــة ، بضم العين وفتح الواو ، ولعله يقصدها لأنها في الثغر .

فيا حبّذا ثغرٌ لـــه النصـــرُ خـــادمٌ ويا حبذا عينٌ بها الماءُ قـد عَـذُب

أمثل شوقاً شكلَها فـــي ضـــمائري فيسقط دمعي الشكل[1]من شدة التَّعب

بديعةُ حُسْــنٍ زادهـــا الله بهجــة وآمن أهليها من الخوف والشَّـغَبْ

لقد أعجزت أوصافها كلّ معــرِب وكل الذي أملى وكل الـذي كتـب

ولكن قُصارى مُطنبِ القولِ إنهــا تفوق بلادَ الغرب طُرًّا ولا عجــب

وناهيك بـــالبئر الجديـد وســره لجيرته داراً بهـا القلـب ملتهـب

فلا تلمني إن أرَّق اليــينُ مُقْلَتـي وكادتْ بي الأشواق تُفضي إلى العطب

فإن من الإيمان ـــ والنصُّ شــاهدٌ " محبتَك الأوطانَ عن سيّد العرب "

وكيف بدارٍ قد حوت كـلَّ رُفقـة يقومُ لهم في العلم باعٌ وفـي الأدب

ومن فضله بحرٌ طويـل ووافـر مَديد مدى الأيامِ لا يعتريـه غِـب

هو الوالدُ الأسمى فلا زال كاسمه حُسين أخو الحسنى لأحمد ينتسـب

إمام من الإحســان أحيـا مـآثراً ومن قبله البُهلولُ ذو الفخر والحسب

فيا فالق الإصباح والحبّ والنـوى تمد له عمراً طـويلاً بِـلا وصـب

سقتك أيـا ربـعَ الأحبَّـةِ ديمـةُ تدومُ ، ولا زالت بِكَ المزنُ تنسكب

فيا لك من ربـع إذا مـا ذكرتـه أهيمُ كما الثكْلى أو الشاربِ الحَبَـب

---

(1) الأشكل: ما فيه حمرة وبياض ، ولعله من كثرة بكائه اختلط دمعه بالدم.

مقتطفات من رحلة التيجاني

يقول التيجاني في رحلته عند حديثه عن طرابلس :

[. . . وبداخل البلد مدارس كثيـــرة ، وأحســـنها المدرســـة المنتصرية[1]، التي كان بناؤها على يد الفقيه أبي محمد عبدالحميد بن أبي البركات بن أبي الدنيا [2] ـــ رحمه الله تعالى ـــ وذلك فيما بـــين سنة خمس وخمسين إلى سنة ثمان وخمسين ،وهذه المدرسة من أحسن المدارس وضعاً وأظرفها صنعاً . ونقلت من خط أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد في بعض تقاييده قال : حللت فـــي بعـــض ســـفراتي بطرابلس ، فبكرت يوماً إلى المدرسة التي أنشأتها بها الهمـــة العليـــة الإمامية المنتصرية ، فدخلت إليها ، وقعدت مســـرحاً طرفـــي فـــي روضة حبق حبست حاستي البصر والشم عليها ، ثم قلت :

يا حبذا نسمة هبـــت لنـــا شِـــقها   غبّ الكرى سَحَراً من روضة الحبـــق

حسبتها عندما هبّت وقد نعشـــت   ببلـــة مـــن نـــداها روح منتســـقِ

---

(1) في بعض النسخ " المستنصرية " .

(2) ترجمته في عنوان الدراية ، ص64 ، وفي تاريخ الزركشـــي ، ص ص 34 ـــ41.

قرنفل الهند قد وافى التجـارُ بـه محافظين على نشْـر لـه عبـق

فعندما فضـه الـداوي ذكّرنـي بطيبة طيب عيش مَـرَّ لـي أنـق

بتونس أنـس الـرحمن سـاحتها وسُقيت أبـداً بالعـارض الغـدِقِ

ولا أموت إلـى أن ألتقـي قمـراً للحسن مطلعه مـن ذلـك الأُفُـقِ

وقد أنشدني صاحبنا الفقيه أبو العباس أحمد بـن عبدالسـلام التاجوري ، قال : أنشدني الشيخ الفقيه البليغ أبو الحسـن علـي بـن إبراهيم التيجاني أيام حلوله بطرابلس على غير اختياره فأقام بها مدة، ثم توجه منها إلى الحج ، وذلك سنة أربع وثمانين ، وأنشدت بعد ذلك بتونس الفقيه أبا الحسن البيتين ، فأنشدنيهما لنفسه :

لأهـل طـرابلس عـادة من البرِّ تنسى الغريب الحميمـا

حللـت بهـا مكرهـاً ثـمّ إذ أقمت بها أبـدلوا الهـاء ميمـاً

والأشهر في هذه المدينة طرابلس بفتح الطّاء وضـم البـاء واللاّم ، قال البكري في الممالك والمسالك : وترجمـة هـذه اللفظـة باللغة الإغريقية ثلاث[1] مدن تم كلامه [2]، وبعض الناس يكتبها حيثما

---

(1) راجع البكري ، ص ص 6 ــ 7 .

(2) في بعض النسج " ثم تلاعمت " .

وقعت في خطه بالألف ، وعلى هذا قول أحمد بن يحيى من قديم شعرائها في قصيدة له :

لقد طال شوقي إلى فتية حسان الوجوه باطرابلْس

وقد عيل صبري فما مُسعدي على الشوق إلا دموع بَجِسْ

وأحمد بن يحيى هذا من ولد أخي علي بن زياد الفقيه التونسي – رحمه الله – وأصل علي بن زياد من طرابلس أيضاً ، مات سنة ثلاث وثمانين ومائة[1] ، وذكر لي بعض النبهاء من طلبتها أنه وقف لبعضهم على أن المختار من طرابلس الشام أن تكتب دون ألف تفرقة بينهما ، وأما الكاتب المتأخر أبو الحسن علي بن أبي بكر بن بلال ، فإنه سكن لام طرابلس استناداً إلى ما تقرر في اللغة العربية من جواز تغيير الأسماء الأعجمية للضرورة ، فقال في بعض وترياته يخبر عن نفسه :

سرى فرسا في سيره ولو أنّه خليّ من الأوزار سار ولم يرس

سعى سعى طمّاح لأبعد غاية فكانت له دار المقام طرابلس

سينضى ركاب العزم عنها مجرّداً لأفضل من دانت له الجِن والإنسُ

---

(1) طبقات أبي العرب ، ص 253 ، وفي بعض النسخ ثلاثين ومائة ، وهو تحريف من الناسخ .

(. . . وفي شهر ذي القعدة وصل التعريف بوصول المشارقة الذين كنا ننتظرهم إلى حضرة تونس ، ثم خروجهم منها صحبة حصة عينت لتشييعهم إلى طرابلس ، فبنى مخدومنا على التوجه صحبتهم ، وكان وصولهم إلى طرابلس في أوائل شهر ذي الحجة ، وفي يوم الجمعة السادس والعشرين منه كان لخروجنا من طرابلس ، فبتنا بظاهر المدينة ، وودعت في هذا اليوم شيخنا أبا فارس عبدالعزيز بن عبيد وأنشدته [1]:

سقى ربوعك يا مغنى طرابلس	حياً يحييك منه كل منجبس
فكم يد لك في تأنيس مغترب	شطّت به الدار عن أُنْس وعن أنَسِ
أقمت فيك على حكم النوى زمناً	كأنني فيه للسَّرَّاء في عُرُسِ
أثوب من أهلك الغرّ الكرام إلى	قوم أوافي لديهم كل ملتمس
ما بين جد وتأنيس بمثلهما	نَأى عن الخاطر استيحاشه ونُسي
لو لم يكن لك عندي في الزمان يد	أثنى عليك بما ما امتدَّ في نفسي
إلا ملاقاة من حزتُ الفخار به	عبدالعزيز الإمام العالم الندس
محى العلوم ومحظيها ومُبرزها	من حلْى ألفاظه في أحسن اللُّبسِ
ومُحرز الشيم الغرّ التي كرُمت	فَفَاه بالمدح فيها كل ذي خرَسِ

(1) التيجاني ، أبو محمد عبدالله محمد بن أحمد ، رحلة التيجاني ، طرابلس، دار الفرجاني ، ص ص 251 وما يليها .

يجلو إذا أشكلت في العلم ما لـــه ذهنا يجلّـــى ســـناه كـــل ملتـــبس

نعمت من قربه لمّا اتصلتُ بـــه بوقت أنس مـــن الأيـــام مخـــتلس

والله يحفظـــه غوثـــاً لمســـتبق لكشف نازلـــة نـــوراً لمقتـــبس)

طرابلس التي عطفت علي[1]

شعر / أحمد الفقيه حسن (الحفيد) 1895 – 1975

إني امرؤ أرعى طرابلس التي عطفت عليَّ منَ القـديم وليـدا
بلـد ولـدت بـه وأول تربـة منها لبست من الثيـاب جديـدا
أشدو بذكر محاسن الوطنَ الذي أشـتاق يومـاً أن أراه سـعيدا
واحر أشواقي ليـوم لـم أزل فيـه أؤمـل أن يكـون العيـدا
يوم ينال الشعب فـي مـراده ويكون معي المخلصين حميـدا

بلدي طرابلس[2]

طال الفراق ونـال مـن أجـلادي وذكت من الأشـواق نـار فـؤادي
وأمضني شحط النوى عـن بلـدتي ونبا علـيّ مـن النـزاع وسـادي
لم يصف عيشي بعدما أصبحت عن بلـدي طـرابلس أسـير بعـاد
بلـد لبسـت بـه كسـاء شـبيبتي وظفرت فيه من الصـبا بمـرادي
فهـواؤه صـفو الهـوى ومياهـه ضرب وتربتـه الخصـيبة جـادي
والعـيش حلـو والحيـاة شـهية مـع أسـرتي فيـه وأهـل ودادي

---

(1) جبران ، محمد مسعود ، أحمد الفقيه حسن : حياته وأدبه ، ص 51 .

(2) نفسه ، ص 53.

في طرابلس

شعر / معروف الرّصافي

هو النصر معقود برايتنا الحمـــرا   على أنه في الحرب آيتنا الكبـــرى
حليفان من نصـــر مبـــين ورايـــة   به وبها نعلو علـــى غيرنـــا قـــدْراً
لئن أدبر " الطليان " عند كفاحنـــا   فإن لهم في بطش شجعاننا عـــذرا
فإنـــا لقـــوم إن نهضـــنا لحـــادث   من الدهر أفزعنا بنضهتنا الـــدهرا
ندك هضاب الأرض حتى نثيرهـــا   غباراً على أعدائنا يكثح الـــذعرا[1]
ونأكل مر المـــوت حتـــى كأننـــا   نلوك به ما بين أضراسنا تمـــرا[2]
فسل جيش" كانيفا " بنا كيف قومت   شفار مواضينا خدودهم الصُـــعرا[3]
وكيـــف هزمنـــاهم فولـــوْا كأننـــا   وإياهم أسدُ الشّرى تطـــردُ الحُمـــرا
وكم قد نثرنا بالســـيوف جماجمـــاً   نظمنا بها فوق الثرى للعدا شـــعرا
وما جزعى للحرب يحمي وطيسها   ولكن لأرواح بها أزهقت صـــبرا[4]

---

(1) يكثح الذعر : أي يسفيه ويذروه ، فيرميه عليهم .

(2) نلوك : أي نمضغ ونعلك .

(3) الصعر : جمع أصعر ، وهو ذو الصعر ، وهو الميل ، يقال : صـــعر خده إذا أماله عن النظر إلى الناس ، تهاوناً وكبراً .

(4) قوله " يحمي وطيسها " أي يشتد ، والوطيس : التنور ، ويطلق على المعركة ، وحمى الوطيس : كناية عن اشتداد الحرب ، وقوله " أزهقـــت صـــبرا " : أي قتلت صبراً ، يقال للرّجل قتل صبراً : شدت يداه ورجلاه ، وأمسكه رجل آخر حتى يضرب عنه ، أو حبس حتى يقتل . يشير هذا البيت إلى ما فعلـــه جنـــد الطليان في مدينة طرابلس من الفتك بأهلها الضعفاء .

* * *

لـك الله يـا قتلـى طـرابُلسَ التـي بها حَكـم الطليـان أسـيافهم غـدْرا

أقـاموا بهـا قتـل النفـوس نكايـة إلى أن أساروا كل بيـت بهـا قبـرا

ولمـا أحـاط المسـلمون بجيشـهم فعاد الفضاء الرحب في عينه شـبرا

تقهقر يبغـي فـي الـديار تحصـنا ففر بها من خشية الموت واستذرى[1]

وأصبح يُنكـى أهلهـا مـن تغـيُّظ فيقتلهم صـبرا ويُـرهقهم عُسـرا[2]

فأوسعهم بالسـيف ضـرباً رقـابهم وأنـافهم جـدعاً وأجـوافهُم بقـرا[3]

وما ضر " كانيفا" اللعـين لـو أنـه تقحّم في الهيجاء عسكرنا المجْـرا[4]

أيحجـم عنـا هاربـاً بعلوجـه ويبغي بقتل الأبريـاء لـه فخـرا[5]

وهل حسبوا قتـل النسـاء شـجاعة وقد تركوا عند الرجـال لهـم ثـاراً

لقد شجعوا والمـوت لـيس لـه يـد ولم يشجُعُوا والموت يطعمهم شزرا[6]

---

(1) استذرى : استتر واختبأ .

(2) ينكى أهلها : أي يقهرهم بالقتل والجرح ويرهقهم عسراً : يكلفهم إياه .

(3) أوسعهم ضرباً : أي أكثر ضربهم فضربا : تمييز محول من المفعول ، وأصل الكلام : أوسع ضربهم ، أي أكثره ، ورقابهم بدل من الضمير ، بدل بعض من كل ، وآنافهم جدعاً : معطوف على ما قبله ، أي وأوسع آنافهم جدعا . والجدع : قطع الأنف . والبقر: شق البطن.

(4) تقحم عسكرنا : أي هجم عليه ، وهو مأخوذ من تقحم الفرس النهر : إذا دخله ، ورمى نفسه فيه بشدة . والمجر : الكثير .

(5) الإحجام : ضد الإقدام . والعلوج : جمع علج ، بكسر فسكون ، وهو الرجل الضخم من كفار العجم .

(6) يطعنهم شزراً : وهو الطعن من جانب اليمين أو الشمال .

يعــز علـــى أســـيافنا اليـــوم أنهـــا تقارع قوماً قرعُهم بالعصا أحــرى[1]

ولم تك لولا الحـــربُ تعلـــو ســـيوفنا رووساً نرى ملء القحوف بها عِهْــراً[2]

ومن مُبكيات الدهر أو مضحكاتـــــه لدى الناس حُرٌ لم يكن خصمه حُرّا

* * *

لئنْ " أيها القتلى " أريقــتْ دمـــاؤكم فما ذهبت عند العِــدا بعـــدكم هــدْرا

ســـنثأر حتىتبـــأمَ الحـــربُ ثأرنـــا ونقتلُ عن كل امرئ أنفســـاً عشـــرا

وإنـــي لتغشـــاني إذا مـــا ذكـــرتكم لواعج حُزن ترتمي في الحشا جمرا[3]

على أن قُرص الشمس عند غروبها يـــذكرني تلـــك الـــدماء إذا احمـــرا

فأبكي تجاه الغـــرب والبـــدر لائـــح من الشرق حتى أبكى الشمس والبدرا

ويأهـــل هاتيـــك الـــديار تحيـــة توفيكم الشكر الذي يـــرأس الشـــكرا

فقـــد قمـــتم للحـــرب دون بلادكـــم تذودون عن أحواضها البغي والنكـــرا

وترنم أسودا فـــي الـــوغى يعربيـــة غدا كل سيف في براثنهـــا ظُفْـــرا[4]

---

(1) قوله " قرعهم بالعصا أحرى " أي ليسو أحرار ، بل هم عبيد ، وقد قيل:

العبد يقـــرع بالعصـــا والحر تكفيـــه الملامـــة

(2) القحوف : جمع قحف ، وهو عظم الرأس المجوف . والعهر : الفجور .

(3) اللواعج : جمع لاعج ، والاعج من الحزن : الشديد منه المحرق .

(4) البراثن : جمع برثن ، وهو من السبع بمنزلة الأصبع من الإنسان .

تراها لدى الحرب العوانِ مُشـيحة تهمهمُ حتى تنطق الفتكـة السـكرا[1]

ولـو أن كفـي تسـتطيع تناوشـاً فتبلغ في إبعادهـا الأنجـم الزُهـرا

لرتبت منها فـي السـماء قصـيدة لكم واتخت البدرَ في رأسـها طغـرا

وخلـدتها آيـاً لكـم سَـرمدية مدائحها تسـتوعب الكـون والـدهرا

* * *

يقولون إن العصرَ عصر تمـدن فما باله أمسى عن الحق مـزوّراً

إلى الله أشكو في الورى جاهليـة يعُدّون فيها من تمـدنهم عصـرا

أتتنا بثوب العلم تمشـي تبختـرا إلى الخير لكن قد تأبطـتْ الشـرّا

فلا تلتمظ فـي مـدحها متمطقـاً فإن أ ظهرت حُلوا فقد أبطنت مُرا[2]

لقد مَلكَ الإفرنج أرض مـراكش وقد ملكوا من قبلها تونس الخضرا

ففاجأنا الطليان من بُعـد مُلكهـم لكي يسلُبونا في طرابُلس الأمـرا

---

(1) مشيحة : أي جادة ، أو مقبلة على الحرب ، مانعة لما وراء ظهرهـا ، وتهمهم : أي تردد زئيرها في صدورها . يقال همهم الأسد : إذا سمعت له دوياً ، والفتكة السكر : التي لم تسبق بمثلها .

(2) قوله " فلا تلتمظ " : الالتماظ كالتملظ ، تتبع الطعم والتـذوق ، وقولـه متمطقاً : من التمطق وهو أن يصوت الآكل باللسان والنـار الأعلـى ، وذلك عند استطباته المأكول ، فيلصق لسانه بنطع فيه مع صوت .

وقالوا ألم تأتِ الفرنجـــة تونســـا وهذي جيوش الإنكليز أتت مصرا

فخلوا لنا ما بـــين هـــذي وهـــذه وإلا قسرناكم على تركهـــا قســـرا

فقلنـــا لهـــم إنـــا أحـــقّ بملكهـــا فقالوا : ولكن زنُـــد قوتنـــا أورى

أهذا هو العصر الـــذي يدعونـــه فسُحقاً له سُحقاً ودفرا له دفـــرا[1]

---

(1) سحقاً له : أي بعداً له . ودفراً له أي نتنا .

أغنية إلى المدينة القديمة[1]

شعر : خالد زغبية

أجول في شوارع المدينة

القديمة

ألمح في أزقة بيوتها

أبوابها مغلقة أو مشرعة

قد عرش الياسمين في

أضلاعها

يموج الأريج في أجوائها

وفي أقفاصها المعلقة

قد غردت بلابل

أنشودة مفرحة وشائقة

وحلق الحمام في ذرى

أبراجه العتيقة

---

(1) زغبية ، خالد ، إيقاعات متداخلة ، بنغازي ، مجلس تنمية الإبداع الثقافي، ص ص 103 ـــ 106 .

منشراً أجنحة ألوانها منمقة

مرجعاً أنغامه الشجية

وقد أطلت العذارى من

شرفاتها

تشعشع الجمال في نظراتها

ترقرق الدلال في بسماتها

أغنية بالحب مترعة

ومرّ صبية هاموا على

دروبها الندية

مرنمين في أرجائها

أهزوجة شعبية

عن يوم عاشوراء

وذكرى مصرع الحسين

في كربلاء

ويوغلون في دروبهم

ظلالهم تمتد برهة ،

وتنحني

تدور ، ثم تنثني

وتختفي

تذوب في ظلال كل قوس

درب ملتوي

وطاف في رحابها الحميمة

من باعة للفل والقرنفل

يعطرون بالشذى

منعطفاً ومنحنى

على جميع الأرصفة

ويلهبون في الأحبة

أشواقهم مشقشقه

ومرّ عاشقان مغرمان

تحت رذاذ المطر الصبيب

يرجفان

قد أضرم الغرام في قلبيهما

دفء الحنان

كفاهما تشابكاً ، حوار

عيناهما ، تناجيا هيام

خطاهما قد وقعا

فوق الدروب المعتمة

لحن الغرام أغنية

بالصفو والآمال واعدة

فشعشع النسيم في الدجى

أصداءها

عبر الأزقة المزخرفة

واحتضنتها في المدى

رحابها الرحيمة

من كل شارع طافت به

خطاي

في عمق أعماق المدينة

القديمة

باب البحر

شعر / راشد الزبير السنوسي

28 / 11 / 2006 ف

سألوها واستسمحوها جواباً فزوت خدّها وذابت لُبابا

واستحالت نسائماً وتماهت في العروقِ الظمأى فأحيت يبابا

تلك سلمى إن لم يكن قدم العهدُ فلما تزل هوى مستطابا

يتلظّى تحت الرّماد حنينُ فإذا حرّكته زاد التهابا

يستحلّ الشروقُ صفحة خدّيها ويكسو صفو الشّفاهِ رُضابا

ويغوصُ المساءُ يسكن عينيها ويختار عُمقَهنّ مآبا

سألوها من (باب بحرٍ) فقالت دَعْكَ من أين لن أحِيرَ جوابا

أنا لا أنتمي إلى غيرِ ذاتي وإليّ البلادُ تأتي انتِسابا

فالنّفوسُ التي تغَضن مَرآها بلحظٍ منّي تعودُ شبّابا

وطموح الرجال يغفو بكفيّ ويعنُو ضراعةً واستلابا

وأنا حيثُما أكونُ يصوغُ الشّعرُ ما أبتغيه شهداً مُذَابا

وأنـــا خطـــوةٌ منغّمـــةُ الوقـــعِ تُجلّي عَـــنِ الـــدّروبِ اكتئابــا

قُلتُ يالي مـــن الجمـــالِ ويـــالي من غرورِ الحسانِ يعلو السّحابَا

كلما قُلت هاهنا يصمدُ الحـــرفُ إبـــاءً ويـــرفُضُ الأعتَابَـــا

أوهنَتْ صَـــوتَهُ مدلّلـــةُ العُمـــرِ فيعنُو كـــي يفـــتَحَ العفُـــو بَابَـــا

باســـطاً كفّـــهُ لتقبـــلَ مِنْـــهُ حَذَرَ الصـــدّ يســـتحيلُ عِقَابَـــا

إنما الشّـــعرُ والجمـــالُ حبيبـــان وأحـــرى ألا يُثيـــرا عِتابـــا

درّة الشّطّ

شعر / راشد الزبير السنوسي

طرابلس يا لهفة في الصّدور بأردانهــا عبــق الأمكنــهْ

ويا خفقة في الحنايــا تجــول نســيماً إذا هدهــدتني سِــنهْ

وقفــتُ بمغنــاكِ مســتأذناً وماكنتِ عنــدي بمســتأذنه

وقبلتُ في ضوء عينيك عمرا تولّى الزمــانُ ومــا أوهنــهْ

لــك الشــعر يُســلمُ راياتــه وتعذب فــي ليلِــكِ الدّندنــهْ

فمن نظرةٍ كمنت خلف بــاب تُظلّــلُ مدخلَــهُ سوســنه

إلى شــرفة حضــنت غــادة أطلّت كما تشــمخ المئذنــهْ

تكاد الضــلوع إليهــا تَفِــرّ غداة استحالت هوى أدمنــه

صحوتُ على وقــع ترنيمــةٍ ووجهٍ قد اختصــر الأزمنــه

فــلا الحــزن كبّــل آمالــه فغامت ، ولا هاجس غضّنهْ

ويا درّة الشّــط أمَ السّــراي يحــقّ لمثلِــك تلــكَ الأنَــه

هواكِ الذي أنطق الشّعر يوماً وأعرش في خافقي مســكنه

وروضكِ حين استفاق العبير رقيق الأحاسيس قــد لوّنــه

تفجّر في نــزوات الشّــباب عطـــاء ولله مـــا أحســـنه

وكنت وكُنّا طموحــاً يشــبّ فلم تدن منـــه رؤى مخزنـــه

ويا أخت أندلس فـــي البهـــاء إليكِ تجـــي المنـــى مذعنـــه

وصوتُ على شاطئ ســـاحر إذا ما تغنى الهـــوى دوزنـــه

تـــأوه فـــأفتر ثغـــر النّـــدى شـــفاها تُـــردّد مـــا لحنـــه

وســـاقتكِ ألحـــانَ مهموســـة فأنسيت من صاغها موطنـــه

وأحببت مـــالوف مـــا شـــابه فتـــور وعرّفتِـــه معدنـــه

فأنــــتِ أحـــــقّ بنوباتـــــه وأجدر من رام أن يحضـــنه

وقد مرّت الأربعـــون التـــي طوت عمرنا وتلتهـــا سَـــنَهْ

وظل الجموح الـــذي قادنـــا عصياً على القيد أن يســـجنه

ولا شيء غير خيوط الضياء غزت ليل من ليلُه اســـتأمنه

لتسلب من صبوات الهـــوى شبوباً وتبقـــي لنـــا أرعنـــه

فتضوي حيـــاةٌ ولعنـــا بهـــا وتوهي خُطى دأبها الشيطنه

فـــذلك يقتـــنص السّـــانحات وذلـــك نجـــواه مســـتيقنه

ترنّح في المعرض التـائهين دلالاً وفـي غيّهـا ممعنـه

هنالـك يسـتمتع العاشـقان يؤوب الغرّيب لمـن أمّنـه

ويستحضر الشـعّر أطيافـه ويكسـو رهافتهـا أنسـنه

فيا نعمةٌ نفضت عـن هـوى غُبار السنين ومـا أحزنـه

تجلّيتِ فانشقّ صدر القصـيد ولم ينس عهـداً ولا خوّنـه

لأنّكِ مـن غرسـت نقشـها بصدري و من عرفت مكمنه

وتبقين حلماً عزيز الجنـاب لـه لـذّة ولـه هيمنـه

تلـوذ بـه خفقـات الحنـين وطيف لئن غاب مـا هوّنـه

فمن شاقه اليوم ركن قصـي بمقهى الأورورا ومن أدمنه

وركن(القِـدتِ) ودفء بـه تعوّدنـا وتناسـى الهنـه

يعود بلقيـاه عمـر جميـل صفاء المشاعر قـد مكّنـه

ويبقـى الجنـان ونـواره مـلاذاً وأنشـودة الألسـنه

نبعـاً يفـر إليـه الظمـاءُ إذا أجدبت حولـه الأمكنـه

سلام عليـك بكـل الـوداد وأنت كما أنـتِ مسـتمكنه

2007 / 1 / 1

عيون طرابلس[1]

شعر / راشد الزبير السنوسي

عيون طرابلس لمَّا تزل ... تغازلُ أحلامي الرانيهْ

تبدين لي أفقاً من عبير ... يرنّح قلبي . . . وأوزانيه

وذكرتُهن ليذكُرنني ... وهن جنانُ الهوى الدانيه

وهن الحنان الذي إن فزعتُ ... إليه يلفك في ثانيه

وقفت عليهن غضّ الشباب ... وكن نعيمي وأشجانيه

وناديت يا سُوْر تلك السنين ... أفق فخطاكَ بدتْ وانيه

أما زال يذكرني شادنُ ... تهادى على وقع ألحانيه؟

وسرْب يروحُ وسربُ يجيء ... وبينهما تاه إنسانيه

1992

---

(1) السنوسي ، راشد الزبير ، الخروج من ثقب الإبرة ، طرابلس ، الدار العربية للكتاب ، 1995 ، ص 93 .

شارع عمر المختار

شعر : راشد الزبير السنوسي

عشقت الشارع الواسع

حننت إلى عشياته

إلى النسمات تخطر بين جنباته

تغازل خطوة سكرى تدغدغ وجنة

حرى

لسرب من حماماته

خرجن كدفقة عطر

كباقيات من النوار يستروحن في

العصر

ولي فيهن واحدة كبوح الفجر بالسحر

بدت خمرية هيفاء بين غلائل تسري

فيجتاح الهوى المشبوب ما خبأت في

صدري

وأهتف أنت يا عمري . .

أما تدرين أين حللت في شعري

إذن فلتسألي النسمات إذ تخطر

ستفصح عن هوى أكبر

ستعلمك الذي قد لوع السائر

فجاء بقلبه الشاعر

يرصع دربك الملتاع بالكلمة

فتزهر نشوة نغمه

تفتق فجرك المتماوج الأخضر

يذوب كقطعة السكر

على شفة تحن لألفها الأسمر

1968 / 2 / 25

من وحي معرض طرابلس الدولي

شعر : راشد الزبير السنوسي

كيف يا حلوتي هناك التقينا

فتجاوزتني وسرت الهوينا

ومنعت القصيد أن ينشر الشوق

وروداً تضوع في راحتينا

وتجاهلت هاتفاً صادق الخفق

وأغمضت عن ندائي عينا

ليس بالعدل ما فعلت ولكنّ

فؤادي لا يحمل الحقد دينا

* * *

وامتطيت السحاب في خفة الغيد

وحلقت مثلما تشتهينا

تتلهين في صعودك للأفق

بمن أحدقوا من الواقفينا

فإذا رام عاشق أن يوافيك

تردى دامي الجراح طعينا

ولعمري لو لم أشُد على القلب

لوافاك أو يذوب حنينا

ومضينا نجول وسط الزحام

في طريقين خشية الاصطدام

تتقفي خطاك عين إذا غبت

أطالت تحديقها في اهتمام

وتكاد الأشواق تفضح ما تخفي

وتحكي للناس وَقْدَ الهيام

أنا يا حلوتي يؤرقني اليأس

وإن شدني إليك غرامي

ثم في لحظة تواريت عنا

فمضى إثرك الفؤادُ المعنى

يذرع الدرب سائلاً كل عينين

يرى فيهما هوى مستكنا

لي حبيب نأى وخلف ذكراه

عذاباً فماله يتجنى

فيحار الجواب ما بين اطراقة

جفن ونظرة ذات معنى

فبراير 1967

العيون الطرابلسيـة [1]

مهداة إلى الصديق عوض بن موسى

ديسمبر 1966 م

العيون النُجل الطرابلسيه

وابتساماتٌ غيدها الشاعريَّة

والدلال الذي يدغدغ أحلا . . .

مي وتحلو رؤاه في مقلتيّه

والأحاديثُ كانطلاق الأغاريد

من الطير في الرياض عشيَّه

والقدودُ التي تذوُب من الد. . .

ل إذا نغَّمت خطى أنثويه

سلبت شارد الفؤاد جهارا

لبَّه حين هام خلف الصَبيَه

اقبلت في دلالها تتهادى

ثم حادت من جانب (القلاريه) [2]

---

(1) السنوسي راشد الزبير .

(2) اسم مقهى بمدينة طرابلس

أهي (زاويةُ) [1] العيون تراها

أم من (الشّطّ) [2] أم من (المنشية) [3]

أم نما دلّها (لصُرمان) [4] عرق

فبدت غضة القوام طريَّه

قلت يا صاحبي لو يرفق السا . . .

ئر أسمعته لحوناً شجيَّه

فأجابا لم السؤال وفيها

يتبدى الدلال والألمعيَّه

لو أطلت الحديث عنها أجابت

نسبتي للجمال أغلى عليَّه

فأطلق اللحن في مداه طروباً

يرقص الحرف والقلوب الفتيَّه

---

(1) بلدة قرب طرابلس .

(2) موضع بمدينة طرابلس

(3) موضع بمدينة طرابلس

(4) قرية قرب طرابلس

بَـلَـدِي[1]

2005 / 5 / 25

شعر / راشد الزبير السنوسي

بلَدي مركِبٌ على الشمس ترسُو وحِكاياتُهــا صــفاءٌ وأُنْــسُ
يفتــديها الأُبــاةُ جــيلاً فجــيلاً كضياءٍ ينصب ما فيــه لَــبْسُ
إنها ليبيا وقــدْ هزّهــا الوَجــدُ فهامتْ ليلــى وأنشــدَ قــيسُ
أرضــعتنا شُــموخهاً فَســمَونا بطُموحاتنا ومــا خــابَ دَرْسُ
عشقُها لاهِبٌ قد استلب القلــبَ وما يحتويه حــرفٌ وطِــرسُ
خسيءَ الطامِعُون فيها وخابــتْ نــزواتٌ لهــا تصــدّر بــأسُ
يومَ حطَّ الغُزاةُ أســكرهُم تيــهٌ وألقى بهم على الشّــطّ نحــسُ
هَجَموا ، والخرابُ تِربُ أمانيهم كمَنْ جالَ فــي حنايــاهُ مــسُّ
ينزعُون الحياةَ ، والأرض تُفنِــيهم وعزم الأحرارِ ســيفٌ يَحُــسُّ
وبنهْرِ الدّماءِ يَغتسِــلُ الــدّربُ وتفْنى مــن السّــماحةِ نفْــسُ

---

(1) السنوسي ، راشد الزبير ، ديوان العزف على وتر الإحساس ، طرابلس، اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام ، 2007 ، ص ص 91 ـــ 93 .

فثرانَــــا إذا توعّـــدَهُ عِلـــجٌ بسُوءٍ لم يُجده العُمــرَ تِــرسُ

بَــذَر الخَيّــرُونَ فيــه مُنَــاهُم وسقَاهَا مــن الكَرَامــةِ كــأسُ

فهي حِرزُ وبالعنايــةِ مَحْمِــيٌّ إذا انسَــلَّ نحْــوَهُ مُنْــدسُ

مَــوْطِنٌ دوحُــهُ يَمُــدّ ظــلالاً وينابيعه مــن الخُلْــدِ تَحسُــو

وهَبتهُ السماءُ أعذب ما تُعطِــي ثَرى يُبْرئُ الجــراحَ ويَأسُــو

جبــلٌ شــامخٌ وشــطلا عفِــيٌّ وحبيــب بمــا أحــسّ يُحِــسُّ

كللتْ هامَــةَ النّخيــلِ مرَائيــهِ بكبــرٍ لــهُ يُصَــفّقُ غَــرَسُ

والمواوِيل في مساء طــرابلس سَقاها المالُوفُ مــا لا يُمَــسُّ

هي أُمّ السّراي والأعينُ النّجْــلُ وسربٌ يلْهُو وشــطٌ وشــمسُ

وتُلاقِيك بالحَنَانِ بنــي غَــازي كما تحضُــنُ البشَاشَــة نَفْــسُ

هي نبعُ الحيــاةِ إن لاحَ جَــدْبُ وجِمَاعُ الآمالِ إن حــطّ يــأسُ

تحضُنُ الهاجِسَ العَصِيّ وتَسري بين أعرَاقِه وللحُــبِّ جَــرْسُ

والجنوبُ الذي تذُوبُ ســوَاقِيه حنيناً وعزفُهُ العُمْــرَ هَمْــسُ

جَدلَ الذكرياتِ في مِعْزَفِ الرّيحِ فَرَقّ النّــدَى وأزهَــر عُــرْسُ

تلك يا صاحِ أرْضُــنَا وهَوَانــا فَلْيَــدُم عِزّهَــا ليَشْــمَخَ رَأسُ

ذكريات طرابلسيّة[1]

2003 / 11 / 28

شعر / راشد الزبير السنوسي

حين استعارَ الشّوقُ أخيلتي وطار على جناح الشعر ، بعثرني

فما أدري لأين أسيرُ ، أين أفرّ

ها هي يا أحبّائي عروسُ الشّطّ

ها هو شارع المختارِ يعبر نحو ميدان الغزالةِ وهو يطلقُ آهةً

يتشكّل النّوارُ منها في الجنائنْ ، هذه زهوُ المدائن

ها هنا نبتت قرنلفةٌ لكم مالت على الشُرفاتِ في زهوٍ

وأنت مسمّرُ الإحساس مصلوبٌ على شفةِ الرّغابْ

أتراه ما زال المكانُ يضجّ بالذّكرى ودردشةِ الصّحابْ

سل تلكما العينينِ حين غرقتُ في لجّيهما كيف المآبْ

يا لي ويا لَهما هوىً ما زال يُمطِرُه السّحابْ

ويظل في إصرارهِ المحمومِ يطرقُ كلّ بابْ

---

(1) السنوسي ، راشد الزبير ، ديوان البوح بما لا يقال ، طرابلس ، اللجنة الشعبية للثقافة والإعلام ، 2007 ، ص ص 129 ــ 130 .

نَقْرَ الحمائم للشّرابْ

ودنوتُ حين سمعتُ دندنةً بباب البحر تهتفُ بي

تعيد إليّ شطراً من ربيع العمرِ تحضنُ سرّةُ عينانِ

صارا حرز فاتنةِ طرابلسيةٍ تصحُو بعمقهما ليالي الأندلسْ

ويحَ الذي لم يحترسْ

وأصخبتُ عليّ سامعُ ضحكاتٍ من قد كُنتُ أهوَى

وهي تزرعُ خطوةً سكرى تذيبُ الشّطّ

حيث تقبّل الموجاتُ أعتابَ السّرايَه

ثمّ تمرحُ في شرايينِ المدينةِ نحو أعماقٍ توالد في أزِقّتها

حديث لذكريـــــــاتْ

وهناك يصحو الدال والمالوفُ والصّوتُ المموسقُ والهُيامْ

لفسائلٍ من أرضِ أندلسٍ يهدهدها المنامْ

حيث المدى الموجوعُ والأملُ المضامْ

يهفو لجنّات العريفْ

وغناءِ زريابٍ يوشّحُ ضفّة الوادي الوريفْ

تتعانقُ النسمات والهمساتُ والقصرُ المنيفْ

في ليلةٍ تزهو على ألفٍ وتطمحُ أن تُضيفْ

وتدحرجَت بطموحنا الأيّامُ يعقلُها التفاتْ

وتلاقحت جُدَدُ الغيوم وأفرزَت سيلَ الغُزاةْ

حطّوا كثقلِ الهمّ وافترعوا الكرامةَ والحياةْ

وُشِمُوا على الأسوارِ كالجُدَرِيّ يقذفُهُم شَتاتْ

نهبوا اللآلئ والمحـــارْ

طمحُوا لأنسامٍ تفلّت من أزقّتِها النّهارْ

وبغادةٍ حوراءِ قد غنّى الهزارُ لها وطارْ

تحكي كوشوشةِ الكمانِ تصوغُ عاطفةَ الدّيارْ

لكنّها الحلمُ العصيُ وإن تهدّده احتضارْ

مهما دجَا ليلٌ على أفقٍ وعضّ الانتظارْ

فالفجر يغزل من خيوط الضوء أشرعة المسار

وبقيت يا أمّ الجهاد الطّرِ مفتتح الكتابْ

ومطامحاً ترتادُ سدّتَها أماني الشّبابْ

فيدٌ تُمسّح عن جبينِ الشّمس ظلّ الاكتئابْ

ذوداً عن الحرماتِ والنّسماتِ في الوطن الحبيبْ

تتحفّز الأشجار والأحجار والنفسُ الرّطيبْ

في وجه أسرابِ الجرّاد بعزمةٍ لا تَسترِيبْ

(بلدي وما بلدي سوى حقق الطّيوبْ)

(ومواطئ الأقدام للشّمس اللّعوب) [1]

---

(1) (البيتان من قصيدة بلد الطيوب ، للشاعر الأستاذ علي صدقي عبدالقادر) .

أحـلى المدائـن [1]

في وصف طرابلس ـ عاصمة الثقافة الإسلامية 2007

شعر / حسن أحمد السّوسي

لعينيك يا أحلى المــدائن والقــرى   نصوغ الهوى شعراً فينساب كوثرا

أتينـــاك بالحـــبِّ الكبيـــر تزلفـــاً   وجئناك نستجلي الجمال المصـــورا

ونهتبل العرس الذي شـــع بهجـــةً   ونبتدرُ الصبح الذي عنـــك أسـفرا

هنيئاً لك المجد الــذي جـــاء تاليـــاً   وأن تلبسي هــذا الــرداء المُجبَّـــرا

أضفت إلى أمجاد قومــك صــفحةً   وزدتِ على ما كان من قبــلُ أسْـطرا

بحاضـــرة الإبـــداع نلـــت مزيّـــةً   بها صرت أبهى في القلوب وأكبرا

فماذا يقول المبــدعون إذا شـــدوا   وما كان أحرى أن يقولوا وأجـــدرا

وليس غريباً أن يفيضوا ويطنبـــوا   ويستقرنوا التاريخ فيـــك مُســـطرا

حضنت النهى والشعرَ والفنَّ والعُلا   وأمرت سلطان الهوى . . فتـــامرا

وأكرمت مثوى الوافـــدين ولا أرى   غرابةً في أنا نرى منك مـــا نـــرى

معالم إن جاس الغريـــب خلالهـــا   رآى في المراني شعبك المحضـــرا

---

(1)   السوسي ، حسن أحمد ، في مجلة الفصول الأربعة ، س 26 ، ع 112، (أبريل 2007) ، ص ص 137 ــ 138 .

وإن جال في سوق الصنائع جولــةً تملى به ما يعجب العــين منظــرا

نمـــرّ بميـــدان الغزالـــة مـــرّة فيبهرُنا الحسن الذي قــد تصـــورا

وباب السرايا ربما كــان مفضــياً لذكرى تناســاها الزمــان لتــذكرا

وإمـــا هبطنـــا ميـــزران فحولـــه تشدُّ مرائيه القلــوب إلــى الــورا

تعيد لنا الــذكرى أمــوراً كثيــرة فنجتر أيامَ الشــباب ومــا جــرى

فمسجدها المعمــور كــان مثابــة لمن رتل الذكر الحكيم . . وكّــررا

وكان مناراً مــن منــائرك التــي تنيــر عقــول الســالكين لتبصــرا

ويا ربَّ فراشــية قــد تخطّــرت فخلنا التي فيها . . قضيباً تخطّــرا

تخبــئ إحــدى مقلتيهــا تصــنّعاً لتصطاد بالأخرى القلوب وتأســرا

فتلك العيون (القسطليات) إن رنت فلا بُدّ أن تغري وتفــري وتســحرا

وتتــرك ألبــاب المحبــين حيــرّاً وتترك أجفــان المريــدين سُــمّرا

وتســتزل الإلهــام قبــل نزولــه وتستنهض الشعر الذي قــد تــأخرا

فلا غــرّو إن غنيــتهن قصــائدي فعنهن يأتي الشعر شــهداً مقطــرا

شــقيقة بنغــازي أتيتــك حــاملاً تحية بنغازي . . ملابــاً وعنبــرا

بحاضــرة الإبــداع نلــت مزيــةً بها صرت أبهى في القلوب وأكبرا

ومن قبلها ما كان جيــدُك عــاطلاً ولا كان مهوى الفنّ والحرف مقفرا

فبعضُ بنيك الغر قد كان صـــارماً وبعض بنيك الغرقد كـــان منبـــراً

(خليفة) يبدو في ســـمائك فرقـــداً و(يوسف) نجماً من دراريك نيّرا

وإن (مازن) مس اليـــراع بنانـــه تفـــنّن فيمـــا صـــاغه . . وتخيـــرا

وسال زلالا (أحمدُ) و (محمدُ) وفاض (العليون) المفيضون أنهرا

وإن يذكر المـــالوف والفـــن مـــرة بدا (حسنُ) في الأفق لحناً ومزهرا

ورب فتـــاةٍ مـــن بناتـــك حلّقـــت فجاءت بما يُصبي القلوب مـــذكرا

ومن خلفهم .. هذا .. وهذا .. وهذه وتلك رموزٌ أحرزت لـــك مفخـــرا

و(نوري)ينير الدرب للحرف مشعلاً ويجبر مـــن أقلامـــه مـــا تكســـرا

يظـــل أفـــق المهرجـــان جناحـــه ويجمع مـــن أشـــتاته مـــا تبعثـــرا

فضمي عليهم جفن عينيك واحلمي فأنت بهم قد صرت أحلى وأنضـــرا

إلى طرابلس [1]

بعد عشر سنين . . . عشت في طرابلس أياماً قليلة . . فإذا بها . . مدينة الشباب الحي . . والكرم الحاتمي . . والنشاط الأدبي والفني . . فإلى من رحب بي فيها . . وإلى من أكرمني بها . . وإلى الجزء الكبير من الوطن الحبيب . . أهدي خواطري هذه .

انزل طرابلس . . طوّف في ضـــواحيها

تسعد بـــإكرام قاصـــيها ودانيهـــا

هـــذي بـــلادي وأكـــرم حـــين أذكرهـــا

المجد حاضرها والنبـــل ماضـــيها

والأهـــل فيهـــا ميـــامين غطارفـــة

سماتهم أنهـــم أحيـــوا أراضـــيها

ذادوا . . و ما وهنوا . . دهراً عمالقـــة

يجـــددون ببـــذل الـــنفس واديهـــا

---

(1) الغناي ، عبدربه فضيل ، ديوان الشروق ، بنغازي ، مكتبة دار الأندلس ، 1967، ص ص 58 ــ 63 .

وإن تاريخهــــا حــــي يخلــــدها

ويبقــى إلــى أبــد الآبــاد يرويهــا

* * *

سل عن جهادها أقلام الأولــى غمــزوا

قلب الحقيقــة تكتــب اسـمها فيهــا

الله يحفظهــــا أرضـــاً معــــززة

والله من جشــع الأطمــاع يوقيهــا

تحيــة ســنحت جاشــت بهــا كبــدي

والكبــد تحنــو إذا لاقــت غواليهــا

الله أكبـــر إنـــي حـــين أذكرهـــا

تفيض آماق عيني لا أداريها

ذكرى الثلاثــين حــولاً فــي مناضــلة

أودت بجيل فنا . . حياً . . يناديهــا

* * *

كـــأنني بفتـــى يعـــدو الجـــواد بـــه

ضبيحه أوقــر الأســماع يصــميها

رمـــى بنفســـه فـــي الميـــدان يـــدفعها

فـــدى طـــرابلس حـــراً لا يخليهـــا

وغـــادة طأطـــأ البـــدر المنيـــر لهـــا

نادت بلادي وقالت جئـــت أحميهـــا

إن الكرامـــة فـــوق الـــنفس منزلـــة

لا شيء في هـــذه الـــدنيا يســـاويها

ولـــيس أســـوأ ممـــن عـــاش محتقـــراً

يبيـــع نفســـه للبـــاغي ويعطيهـــا

* * *

فالحر من عـــاش لا يرضـــى مســـاومة

ولا يهـــادن أذنـــاب فيعفيهـــا

والحر من ناضل الطغيـــان فـــي جلـــد

أرض الضمير وارض النفس يعليها

كـــذا تعـــالى بنـــو قـــومي وأيـــدهم

في النصر مودع أنفـــاس وباريهـــا

قـــد أقســـموا أنهـــم يفـــدون مـــوطنهم

مهما أراد بهـــا الطـــاغي ليخليهـــا

حتى استقلت بـــلادي رغـــم مغتصـــب

ورغم من حـــاك جلبابـــاً يغطيهـــا

* * *

والشعب إن وطد العـــزم الأبـــي ســـما

إلى الكواكب لـــو عـــزت مراميهـــا

إن المفرط فـــي حـــق يعـــود ... لهـــا

مصيره الخزي لو طالـــت لياليهـــا

وكـــل ذنـــب أتـــاه الفـــرد مغتفـــر

إلا الذي يفســـد الأوطـــان يشـــقيها

لا يغفـــر الـــوطن الغـــالي مســـاومة

لـــدى سماســـرة بـــاعوا أمانيهـــا

سيلتقي عنـــد إحصــــاء الكرامـــة مـــن

باع الـــبلاد بمـــن فـــدى روابيهـــا

* * *

هنـــــاك يـــــوزن بالقســـــطاس يومئـــــذ

وليس يأمن لـــص مـــن تغاضـــيها

مهما يظن الـــذي قـــد عـــاف مربعهـــا

فسوف يعلـــم أن الشـــعب قاضـــيها

وسوف يندم مـــن عـــاث الفســـاد بهـــا

لأنهـــــا بلـــــد . . . الله يحميهـــــا

وإن بدت تحـــت ظـــل الشـــمس مغفيـــة

فإنّها حيـــة . . . تخفـــي مســـاويها

والشمس إن لمســـت خـــداً وإن لفحـــت

أرضاً ستكثر في الصحرا أفاعيهـــا

* * *

يا أيها الشعب . . يا من عشت في كبـــر

سني حياتك فاحـــذر مـــن تناســـيها

اليــوم تجنـــي ثمـــاراً مـــن ســـيادتها

إن الســـيادة لا شـــيء يضـــاهيها

حـــافظ علـــى نعـــم جـــاءت مبشـــرة

بمـــا يحصـــن آمـــالاً ويرســـيها

فإن تخاذلـــت فـــي التصـــريف حينئـــذ

لسوف تهلـــك حتمـــاً مـــن تفاديهـــا

أغـــنم بفرحتهـــا خطـــاً يقـــيم لهـــا

مـــدى الحيـــاة دفاعـــاً لا يـــداعيها

* * *

عيشي طـــرابلس فـــي بحبوحـــة فلكـــم

عانيـــت مـــرّ ليـــالٍ مـــن تنائيهـــا

لا شيء أقدس من عـــدل يقـــوم علـــى

حكـــم المحبـــة والإيمـــان يزجيهـــا

لـــيس اقتـــل للأوطـــان مـــن نفـــر

يهـــدمون ليخلـــوا كـــل مـــا فيهـــا

فليخذر العمر من يمشـــي بهـــا جشـــعاً

للأجنبـــي بـــلا ســـوم ليشـــريها

هـــذي تحيـــة (بنغـــازي) يقـــدمها

ابن إلـــى وحـــدة الأهلـــين يهـــديها

* * *

طرابلـــس [1]

شعر / محمد الأمين الهمالي

ولا يفوتني ــ ونحن بصدد الكلام على أطرابلس ــ أن ننشر ــ مع الإعجاب ــ هذه القصيدة التي مدحها بها ابنها الأستاذ محمــد أمين الحافي ، التي ألقاها في حفل كبير مــن المهــاجرين والطلبــة الطرابلسيين ، بمناسبة افتتاح النادي الطرابلسي في 21 مــن شــعبان سنة 1363 هــ الموافق أول أغسطس سنة 1944 . بالقاهرة . قال :

لبيــتُ صــوتكِ إذ دعــا داعيــكِ ... وهتفتُ باسمِك فــي رُبــا واديــكِ

وجثوتُ في محرابِ قُدسك خاشعاً ... أستلهمُ الماضــي المســجَّل فيــكِ

صورٌ أقلِّبها على مــرأى النُّهــى ... وافــتْ إلــيّ كَعســجدٍ مســبوكِ

فتمثلــت فــي خــاطري جيَّاشــةً ... ذكرى تُثيــر القلــبَ إذ ذكــروكِ

أنتِ ومــا أنــتِ ســوى أنشــودةٍ ... أسْــلُو الــدُّنا أبــداً ولا أســلُوكِ

دُومي على رغمِ الحوادث حُــرّةً ... أنــتِ العزيــزةُ والكــرامُ بنُــوكِ

قسماً بربِّكِ ســوف نرفَــعُ رايــةً ... للنصر تخفُقُ فــي رُبــوع ذَويــكِ

هــذا شــبابُكِ كلُّــهُ مُتوثِّــبٌ ... نحو العُلا وإلــى العُــلا يــدعُوكِ

---

(1) الهمالي ، محمد الأمين ، طرابلس ، نقلاً عن الطاهر أحمــد الــزاوي ، معجم البلدان الليبية ، طرابلس ، دار مكتبة النور ، ط 1، 1968 ، ص ص 30 ــ 31 .

عُودي إلى دوْحِ العُروبة صــرفةً ودعي طُغــاةً بالخنــا وَصــموك

لا تجزعِي إن حلَّ ربعَكِ معشــرٌ واستحوذوا دهــراً علــى أهْليــك

عصف الزمانُ بهم فأصبحَ مُلكُهُم نَهبْــاً يُقسِّــم رَيْعــهُ بِصُــكوك

تبَّاً لِعْهــدهمُ البغــيض وعُصْــبَة ناظــتْ رياســتها إلــى مفلُــوك

نســبوا إليــك تفرقــاً وتخــاذلاً بــيْنَ البَنــينَ وأنّهُــم قَســمُوك

أنى لهــم هــذا وفيــكِ توحَّــدوا واستَشْهدوا حينَ العِــدا قصــدوك

ليس التحزب في السياســة بدعــة إن كانَ قصــدُ القَــوْمِ أن يُعلُــوك

إن الشُعوب إذا تكامــلَ نُضــجُها أخذَتْ بــرأي الحــازمِ المبْــرُوك

* * *

يا بِعثَــةَ التَّعلــيم جئــتُ مُرحِّبــاً باسم المُواطن في الحِمى وأخيــكِ

لا تحسبي هــذا القــرى بضــيافة بلْ هُو بعضُ البــرِّ مــن ناديــكِ

إنّــا نُكــرِّم فيــكِ خَيْــر شَــبيبةٍ جمعَت شــتات فضــائلٍ وسُــلوكِ

واســتقبلي عهــداً جديــداً باســماً كالفجر في وجهْ الربيع ضــحُوكِ

وتقبّلــي منــي تحيّــة شــاعرٍ واصــغي إليــه فإنّــهُ يُعنيــكِ

محمد الأمين الهمالي
بدار العلوم العليا وأمين صندوق
نادي طرابلس الغرب الثقافي بالقاهرة



دار ومكتبة
الفضيل
للنشر والتوزيع
بنغازي - ليبيا
هاتف : 9092246



